يحيى عبد القادر
مغامرات المحقق
شريف هدهد
ميموزا قراقوش
Unknown
LIVE
200
Ahmed Hassan
ايه اللي بيحصل ده !!!!
Mahmoud Kamal
انا مش فاهم ؟!
Albert Boch
Comment...
ساحر الكتب
إبحار
للنشر والتوزيع

إهداء

الحمد لله الذي أفاض بنعمه الكثيرة، أُهدي هذه الرواية إلى أبي وأمي، فما أتمناه هو إهداءكما جزءًا من السعادة كما أعطيتماني كامل السعادة بحياتي.

وإلى إخوتي الأحباء، فلا طعم للدنيا بدونكم.

إلى زوجتي الحبيبة، مصدر قوتي وإلهامي، أنتِ بطلة حياتي وسر نجاحي.

إلى أصدقائي الذين أنعم الله عَلَيَّ بهم، كل الشكر على مساندتكم لي، ومساعدتكم، وحبكم، وأتمنى أن أرد جزءًا ولو قليلٌ من أفضالكم.

أخصُّ بالشكر صديقي الدكتور محمد البسيوني؛ لمساهمته ومساعدته بعلمه الوافر، والتدقيق المتقن في رواياتي السابقة والتالية.

كل الشكر والتقدير إلى الصديق والأخ الدكتور مصطفى العتال؛ لمساندته العلمية والفكرية في هذه الرواية.

*****

مقدمة

مغامرةٌ جديدةٌ من مغامرات المحقق (شريف هدهد)، أحد أبطال التوحد؛ حيث تستعين به الأجهزة الأمنية وتحديدًا الضابط (سليم) في كشف أسرار القضايا الغامضة، كما يواجه نظرات المجتمع والناس الذين يظنون أن هذا الشاب أقل منهم تقديرًا وذكاءً.

بعض المعلومات التاريخية الواردة حقيقية والبعض الآخر من وحي الخيال، لكن في كل الأحوال قد تم كتابة التاريخ بكافة تفاصيله على أيدي البشر وعقائد مختلفة، وأسبابٍ دفينة، وتوجهاتٍ سياسية، فما تقرأه ربما يكون روايةً أو حقيقةً أو كليهما.

العاشرة والنصف صباحًا:

مضى على البث الحي أكثر من ثلاثين دقيقةً، وأصبحت ملايين الأعين تشاهده، وأنصتت الآذان إلى كل كلمةٍ وإلى كل الخطايا التي ارتكبها ذلك العجوز المتأنق الضخم، ذو البدلة الرمادية، والقميص الأزرق المزين بربطة العنق الحمراء ذات النجوم الذهبية، والتي لم تكن واضحة الملامح رغم الإضاءة التي وهجت بكامل قوتها من أجل إضاءة تلك الغرفة المظلمة الضيقة، ذات الحوائط الحجرية القديمة، لكن لم تنتهِ الكلمات، أو الاعترافات، أو حتى الثُّراهات التي يطلقها لسان العجوز كما يظن بعض المتابعين لهذا البث، بل ازداد حماس البعض، ودهشة البعض، وذعر البعض بالكلمة الأخيرة للعجوز التي تؤكد أنه مستعدٌ لارتكاب خطايا أكثر من ذي قبل؛ من أجل القوى العظمى التي أخذ يبحث عنها لعشرات السنين بين الخرائط، والمخطوطات، والحفريات القديمة والأثرية في الشرق الأوسط كافةً، والتي قادته أخيرًا إلى هذه البقعة في أعماق المحروسة التي أخفت في جوفها أول عنصرٍ من السر الأعظم والذي سيغير العالم بأسره.

ازدادت المشاهدات لهذا البث الغريب عندما انتشر على مواقع التواصل، خاصةً في اللحظة التي بدأ العجوز في إخراج الشمعات السوداء الخمس من حقيبته الجلدية، ووضعها في أماكن متفرقة في أنحاء هذا المكان الضيق، وعندما انتهى وقف بالمنتصف فأخرج الشيء الوحيد المتبقي بداخل الحقيبة الذي زاد وهج المكان من لمعانه.

وما هي سوى لحظاتٍ ليرفع يديه إلى الأعلى حاملًا في قبضته اليمنى ذلك الخنجر الذهبي؛ ليبدأ في تلاوة الطقوس بصوتٍ عالٍ يجوب صداه في أرجاء المكان:

ناين ستاندا يافير ماين دايز ايوا سايرجشا.

إم ناين دار .. إم ناين سفيفاين.

إم بوسوند فايندر سكيلر.

إم جال جاليتا فرام سنجار.

إم رؤول فران برواسيك كورن.

إم هويجر هاوست فلاجوت.

اويفي ياكا فاكتي ريودال بيوجن.

إم إيورر رايسا راسا سباكر فاجل فلوتي.

ناين ستاندا يافير ماين دايز ايوا سايرجشا.

إم ناين دار .. إم ناين دايجا.

بمجرد انتهاء الكلمات، تعالت الصرخات في هذا المكان العميق عندما غرز العجوز الخنجر في عينه اليسرى؛ فيغرق قميصه بالدماء لكن لم يمنعه الألم من التوقف، ولم تمنعه صرخاته المرعبة من العدول عما يؤمن به، وما هي إلا لحظاتٌ حتى سقط العجوز على تلك الأرض الترابية من هوْل الألم، لكنه لم يترك من قبضته الخنجر الذهبي الذي يحمل فوق نصله عين العجوز اليسرى!

***** ***** ***** *****

قرابة العاشرة صباحًا:

رغم عدم اكتمال الدقيقة الأولى من البث الحي الذي نطق العجوز باسمه الحقيقي (سام مردوخ) إلا أنَّ الثواني كانت كافيةً لإصدار الأمر بانطلاق قوات الأمن، التي بدأت في الانتشار في جميع أنحاء القاهرة والجيزة، وتحديدًا في الأماكن الأثرية؛ بحثًا عن مصدر هذا البث الذي يبدو قد أثار أزمةً لدى بعض الجهات السيادية، التي أمرت بالقبض على العجوز في أسرع وقتٍ ممكن لسببٍ مجهول؛ مما سبب بعض الاضطراب والقلق لدى وزراة الداخلية ومن بينهم العميد (راجح) الذي بدأ في متابعة الموقف من مكتبه، والتواصل مع كافة ضباطه في الإدارة للعلم بالمستجدات لحظةً بلحظةٍ؛ لإرسالها إلى الجهات العليا المترقبة للقبض على هذا العجوز، حيث تلقَّى سيادة العميد عدة إشاراتٍ لا سلكية من الضباط من اقترابهم من عدة أماكن أثريةٍ مختلفة، وكان التركيز الأول في منطقة الأهرامات أو تحديدًا داخل الهرم الأكبر كونه الاحتمال الأكبر؛ وذلك بسبب البث الذي يظهر تواجد العجوز في مكانٍ مظلم ومن خلفه جدرانٌ من الحجارة، وعلى الجانب الآخر تلقَّى سيادة العميد إشارةً لا سلكية من المقدم (مصطفى) الذي أكَّد وصوله مع قوات الأمن والبحث إلى حي مصر القديمة، والبدء في الانتشار والبحث داخل الكنائس والمساجد الأثرية المتواجدة بالمنطقة.

تلقَّى (راجح) عدة إشاراتٍ لا سلكية تؤكد بدء البحث، لكنه لم يُؤتَ بأي رسالةٍ أو دليلٍ من الشخص الذي كان ينتظر منه الأخبار المؤكدة؛ حيث لم يتلقَّ (راجح) سوى الصمت التام، رغم المحاولات

المتكررة للاتصال عن طريق اللا سلكي للاتصال بقائد السيارة الحمراء المتسبب بإصابة العديد من السائقين في الشارع بنوبةٍ من الخوف والتوتر؛ بسبب تلك السيارة الحمراء التي انطلقت بينهم بسرعةٍ جنونيةٍ، حتى المارة أصابهم الفزع والغضب عندما صعدت السيارة على ممرٍ مخصصٍ للمارة لتتخذه طريقًا تجنبًا للزحام، فتبدأ سيارةٌ من دورية الشرطة بمطاردة السيارة الصغيرة محاولةً إيقاف هذا السائق المجنون، فيقلل (سليم) سرعته شاهرًا شارته إلى ضابط الدورية، كما يطلب منه إخلاء الطريق من أجل مهمة أمنٍ وطني، لينفذ ضابط الدورية الأمر فَوْر تأكده من هَوية (سليم)، لتنطلق الدورية مسرعةً ومن خلفها السيارة الحمراء.

لم تمنع القيادة المتهورة ل(سليم) أن يستخدم كلا هاتفيه؛ الأول لمتابعة البث الحي لهذا الشخص المجهول، والآخر للاتصال بأي شخصٍ له علاقةٌ بالمحقق المختفي (شريف هدهد) محاولًا تحديد مكانه. بدءًا من الزملاء العاملين معه بالجريدة، مرورًا بعم (سلامة) صاحب المكتبة المتردد عليها (شريف)، نهايةً ب(مرعي) المخبر المكلف بمراقبة (شريف) الذي يقسم بأن عينيه لم تغفل عن مراقبة هذا الشاب، كما يؤكد ل(سليم) أن هذا الشاب لم يخرج من مركز الرعاية منذ أكثر من عشرة أيامٍ، عندما قام بزيارة (محسن النجار) المريض بالمستشفى، كما أكَّد أن (شريف) لم يغادر غرفته داخل المركز منذ أسبوعٍ، فيتلقَّى (مرعي) الأمر بالدخول للتأكد من تواجد (شريف) بالداخل، لينفذ (مرعي) الأمر.

وبمجرد الانتهاء من مهاتفة (مرعي) يتلقَّى (سليم) المكالمة التي

كان يحاول التهرب منها أكثر من مرة، لكن لا مهرب من المواجهة.

راجح: أين أنت يا (سليم)؟

سليم: متواجدٌ حاليًا في منطقة المقطم.

راجح: أرجو أن تخبرني أنَّك ذاهبٌ للبحث داخل مسجد شاهين الخلوتي؟

سليم: سيدي، أنت تعلم جيدًا وجهتي رغم رفضك لهذا الأمر، لكن لا نملك الوقت الكافي لعشوائية البحث عن مكان وأسباب البث لهذا الشخص المجهول، نحتاج إلى اليقين؛ لقد وصلت بالفعل. فهل أتبع الأوامر؟ أم الصواب؟

عمَّت لحظةٌ واحدةٌ من الصمت ولم تستمر طويلًا؛ إذ تلقَّى (سليم) الأمر من رئيسه بإبلاغه بالمستجدات في حالة الحصول على أي معلومةٍ؛ فينفذ (سليم) على الفَوْر، ليخرج مسرعًا من سيارته متابعًا البث بهاتفه في اليد اليمنى، أما اليد اليسرى فكانت تحمل الهاتف الثاني الذي يحاول الوصول إلى الشخص المطلوب، لكن في النهاية دون رد.

تتوقف السيارتان أمام المركز، ليخرج (سليم) من السيارة آمرًا ضابط الدورية بإخلاء الطرق قدر المستطاع من هذه النقطة، وصولًا إلى خارج الحي بالكامل.

لم ينتظر (سليم) تحية ضابط الدورية له الذي تحدث عبر اللا سلكي لتنفيذ الأمر، بينما أسرع (سليم) ليجد أمامه المخبر (مرعي)

المكلف بمراقبة (شريف) طوال الوقت، والذي أقسم أنَّه قد طرق باب الغرفة أكثر من مرةٍ لكن دون جوابٍ، ويحاول أحد العاملين بالمركز العثور على المفتاح الخاص بباب الغرفة، الأمر الذي أدَّى إلى دخول (سليم) مقتحمًا مركز الدكتورة (علياء) بسرعةٍ ومن خلفه (مرعي)، حتى يهمَّ أحد العاملين بإيقاف الضابط الذي لم يلحظه حيث كان متابعًا لكل ثانيةٍ من البث الحي عن طريق هاتفه.

فاقترب أحد الأطباء ويُدعى (هاشم) من (سليم) محتجًا على دخول (مرعي) في بادئ الأمر، ومن ثَمَّ دخول (سليم).

وفي اللحظة التي اعترف (سام) في البث الحي أنَّه معروفٌ لدى البوليس الدولي والشرطة المصرية باسم (سامي النمرود)، أدرك (سليم) حجم الكارثة التي ستواجه البلاد ما لم يتم العثور عليه في الحال، ليمسك (سليم) بذراع الطبيب (هاشم) ليسرعا إلى الغرفة المطلوبة؛ ليؤكد الضابط أنَّ تواجده في المركز له أسبابٌ أمنيةٌ شديدة الحساسية، ويجب الدخول إلى الغرفة في الحال.

ليصل أخيرًا إلى المطلوب؛ فيجد العامل ممسكًا المفتاح بإحدى يديه بينما يستمر في طرق الباب بالأخرى حتى تورمت لكن دون إجابةٍ، لكن لم يكن الوقت حليفًا، ولم يهتم (سليم) بأي اعتباراتٍ أو حتى قوانين المركز، لم يهتم بأي شيءٍ سوى بالركلة العنيفة التي وجهها في قلب باب الغرفة ليتحطم الباب ويسقط أرضًا، ليقتحم (سليم) الغرفة فيتجمد مكانه بعد عدة خطواتٍ من الاقتحام.

يتعجب (سليم) من الأرض المملوءة بمئات الكتب الإنجليزية

في كل أرجاء الغرفة، أما بمنتصف الشقة فيزداد تعجبه عندما يجد أربعة ألواحٍ بيضاء كبيرة مثبتةً على حوامل حديدية، حيث تملأ الألواح الآلاف من المعادلات الكيميائية والمصطلحات الطبية، ليظهر (شريف) واقفًا في المنتصف ممسكًا بكتابٍ ضخمٍ بيده اليمنى، مستمرًا بالكتابة على أحد الألواح بيده اليسرى، منعزلًا عن أي مصدر ضوضاءٍ أو ما يلهيه؛ مستعينًا بالسماعات الضخمة الموضوعة على أذنه.

يتحرك (سليم) بهدوءٍ، ليخطو بأقدامه في حذرٍ في الأماكن الفارغة على الأرض بين الكتب، وكأنَّها ممرٌ خاصٌ للسير بين بحر الكتب؛ فيسقط الكتاب من يد (شريف) مصابًا بالذعر فَوْر شعوره بأصابع تلمس كتفه، ليخلع سماعاته على الفَوْر ناظرًا إلى الخلف؛ فيجد صديقه الشرطي الذي لم يره منذ فترةٍ، لينقذ (شريف) الكتاب الذي سقط على الأرض ليعود إلى كتابة معادلاته على الألواح البيضاء.

سليم: أين هاتفك؟ حاولت الاتصال بك مئات المرات.

شريف: هنا.

سليم: لقد قمت بزيارة الأستاذ (محسن) عدة مراتٍ وتحدثت مع الأطباء، لكنهم لم يستطعوا حتى الآن تشخيص...

شريف: حتى الآن لا يعلم الأطباء المسبب الرئيس للغيبوبة، ما توصلوا إليه هو اشتباهٌ في وجود ورمٍ بالجسم؛ أدَّى إلى تلك السكتة الدماغية، هذا ما تريد قوله، أحاول اكتشاف الأمر الآن.

سليم: لكنك لم تغادر منذ أسبوعٍ، وحاولت تتبع هاتفك لكن لم أستطع العثور عليه. أين هاتفك؟

شريف: داخل الثلاجة.

سليم: ماذا؟! لماذا؟!

شريف: أخبرك (مرعي) أني لم أغادر منذ أسبوعٍ.

سليم: كيف علمت بأمر (مرعي)؟ لا يهم، أريدك أن تأتي معي على الفَوْر.

شريف: لا، شكرًا.

سليم: أرجوك؛ أنا بحاجةٍ إليك يا صديقي، أعلم أنَّك مستاءٌ لعدم التواصل معك طوال هذه الفترة، لكن أعدك بشرح الأمر لك، لكن علينا الانطلاق حالًا.

شريف: لا، شكرًا.

يحاول (سليم) إغراء عقل صديقه ببعض المعلومات عن القضية، ومدى صعوبة فك رموزها وحل ألغازها، لكن دون نتيجة؛ حيث كان عقل (شريف) مُنصبًّا داخل المعادلات والمصطلحات الطبية، الأمر الذي أصاب (سليم) بشيءٍ من الغضب؛ مما جعله يمسك بالألواح البيضاء ويلقيها فوق الكتب المتناثرة على الأرض، ولم ينتظر رد الفعل غير المتوقع من صديقه، إنما وضع الهاتف ذا البث الحي أمام عينيه.

سليم: فقط أخبرني، أين يقع هذا المكان؟ وسأرحل على الفور،

لكني لن أبارح مكاني قبل أن أحصل على مرادي...

لم يستمع (شريف) إلى كلمات مَن حوله؛ حيث دخل بعقله إلى المكان الأثري المجهول وتتبع أثره، وسماع اعترافات (سامي النمرود) منذ لحظة إسقاطه الجوي مع قوات الكوماندوز في منطقة تل اللحم (العراق) عام 1991، لكن سرعان ما عاد إلى الواقع الجاهل بقيمة ما يسرده العجوز.

سليم: هل توصلت إلى شيءٍ؟

شريف: هذا (سامي النمرود).

سليم: أقصد هل علمت المكان؟

شريف: هيا بنا.

يراقب (سليم) بنظراتٍ تملؤها السعادة (شريف) الذي توجَّه بخطواتٍ هادئةٍ نحو حقيبته، ليبدأ بتفقدها والتأكد من وجود علبة طعامه بداخلها، ثم يحملها على كتفيه ليخرج من الغرفة.

يعود (سليم) إلى وعيه، وبعد حالة السعادة لتتحول إلى بعض التوتر الذي أُصيب به من رد فعل صديقه، ليذهب إلى خارج الغرفة آمرًا (مرعي) بإصلاح باب الغرفة على الفَوْر، ثم يقفز الضابط بخفةٍ ليسبق (شريف) حتى يصل إلى السيارة؛ فيأمر ضابط الدورية بالاستعداد للتحرك، ليجلس (سليم) أمام عجلة القيادة منتظرًا (شريف) المشاهد إلى البث الحي بتمعنٍ شديدٍ، ليصل أخيرًا ويجلس بجانب (سليم) داخل السيارة، واضعًا حقيبته بالخلف، لينتهي بارتداء

حزام الأمان.

سليم: هل تخاف من القيادة المتهورة؟

شريف: إنَّها قيادةٌ متهورة.

سليم: إذن، من الأفضل أن تغمض عينيك.

شريف: أريد مشاهدة العجوز.

سليم: إذن، أخبرني مكانه لنتجه إليه؟

شريف: بئر يوسف، قلعة صلاح الدين.

****** ****** ****** ******

المحاور الرئيسة:

كالعادة اليومية الصباحية لملايين المواطنين داخل شوارع القاهرة القيام بالرياضة الروتينية أثناء ذهابهم إلى العمل، لكن ليس لحرق السعرات الحرارية إنما لحرق بعض الأعصاب.

لا تخلو الشوارع صباحًا من الزحام والتسابق من أجل الذهاب إلى العمل، والانتظار دقائق تكاد أن تصل إلى ساعاتٍ في شوارع القاهرة، ويوجد العديد من الشوارع والمحاور الرئيسة داخل وخارج المدينة، والتي تعتبر خير شاهدٍ على هذا الزحام اليومي، لكن هذا اليوم تحديدًا رغم الزحام الشديد لم تكن العقول داخل السيارات منتظرةً انتهاء صراع الزحام اليومي، إنما كانت حائرةً؛ حيث أنَّه وفقًا للمعلومات التي حصل عليها (سليم) وقام بإبلاغها على الفَوْر إلى رئيسه، ومن ثَمَّ إلى الجهات العليا التي قامت بإصدار الأوامر إلى إدارات المرور بإخلاء كافة المحاور الرئيسة لعدة دقائق، فتوقفت حركة السير تمامًا بدءًا من طريق صلاح سالم وطريق النصر، ولم تكتفِ إدارة المرور بذلك بل قامت بإيقاف حركة المرور في جميع الطرق والكباري من محافظة الجيزة إلى محافظة القاهرة، بدءًا من كوبري قصر النيل، مرورًا بكوبري جامعة القاهرة، وكوبري عباس، حتى كوبري السادس من أكتوبر؛ فأصبحت المحاور خاويةً على غير العادة لكن لدقائق معدودة، وفجأةً يصبح التعجب هو السائد والمشترك بين الناس في جميع أنحاء القاهرة؛ حيث يتكرر المشهد في عدة أماكن مختلفة، الأمر الذي دفع المنتظرين إلى الخروج من سياراتهم مستخدمين كاميرات هواتفهم لتصوير هذا الكم الهائل من

السيارات السوداء المتوجهة إلى المطار، وأصوات صافرات سيارات الشرطة المحيطة بهم والتي كاد يسمعها سكان العاصمة جميعًا.

من السهل على جميع المراقبين لهذا الموكب من خلال ألوان اللوحات المعدنية الخضراء والأعلام المعلقة على المقدمة أن السيارات تابعةٌ لهيئاتٍ دبلوماسيةٍ مختلفةٍ، وتابعةٌ للعديد من دولٍ مختلفة حول العالم، والمحاطة بالكثير من سيارات الشرطة والأمن المركزي، بالإضافة لبعض سيارات القوات الخاصة، وكأنَّها بدايةٌ للحرب العالمية الثالثة.

أصبح الطريق خاليًا هذه المرة والمسافة أقصر والوقت أقل، لم يتبقَ سوى دقائق معدوداتٍ للوصول إلى سور القلعة، لتقل أخيرًا حدة القيادة الجنونية وينتهي الصمت.

شريف: أخبرني عن (سام مردوخ).

سليم: أنا لا أعلم شيئًا عن هذا الاسم، لكني أعلم البعض عن اسم (سامي النمرود)؛ فقد تردد اسمه في عدة قضايا، لكن لن أنسى أول قضيةٍ سمعت بهذا الاسم عام 2005 في بني مزار بالمنيا.

شريف: قرأت عن هذه القضية.

سليم: لكن لم ترَ ما رأيت، لا ترى العين سوى الدماء، استمر البحث والتحقيق طويلًا واستجواب أهالي المدينة؛ فأكَّد البعض أنَّ هناك ضيفًا استقبلته العائلة في دارها لعدة أيامٍ يُدعى (سامي النمرود)، والأكثر غرابةً أنَّ بعد القبض على الجاني المنفذ ذكر اسم مَن حَثَّه على هذا الجُرم في مقابل الذهب.

شريف: (سامي النمرود).

سليم: بالضبط، ثم ظهر الاسم في أكثر من محافظةٍ في قضايا التنقيب عن الآثار، وبعد أن أُرسلت التقرير عن هذا الاسم أُصدرت الأوامر لحضوري إلى اجتماعٍ في جهاز أمن الدولة، وكان يحضر هذا الاجتماع ضابطٌ من البوليس الدولي الذي قام بمشاركة أفراد الأمن كافة المعلومات المعروفة عن سامي النمرود؛ حيث يعتبر من أحد المطلوبين في عدة دولٍ عربية وأوروبية لاتهامه بسرقة الآثار وتهريبها عبر البلاد، وتبعًا للمعلومات المتوفرة أيضًا أنَّ (النمرود) متورطٌ في عدة جرائم قتلٍ في عدة بلدان.

شريف: مثيرٌ للاهتمام.

سليم: كلمةٌ غريبةٌ بعض الشيءٍ عمَّا فعله هذا المجرم.

شريف: أقصد ما سيفعله.

لينظر (سليم) إلى البث، ليجد النمرود ممسكًا بالخنجر ليبدأ طقوسه بلغةٍ غريبةٍ عن (سليم)، لكن قوة الصوت أدخلت في قلبه الشعور باقتراب الفاجعة، الأمر الذي دفعه إلى إعادة جنون القيادة مجددًا، وازداد الجنون غضبًا لدى (سليم)، ليس فقط من تلك الطلاسم المجهولة التي يلقيها النمرود، إنما من الابتسامة على وجه (شريف) أثناء مشاهدته تلك الطقوس، وزاد الأمر غرابةً عندما سمع (سليم) بعض التمتمة من صديقه، ليحاول الإنصات إليه لكن دون نتيجة.

شريف: إنَّها اللغة النوردية.

سليم: ماذا يقول؟

لا تقف عند قبري وتبكي.

أنا لست موجودًا، أنا لا أنام.

أنا ألف رياحٍ تهب.

أنا الماس المتلألئ في الثلج.

أنا أشعة الشمس على الحبوب نضجت.

أنا مطر الخريف اللطيف.

بينما تستيقظ مع صمت الصباح.

أنا الاندفاع السريع من الطيور الهادئة.

أنا النهار تجاوز الليل.

لا تقف على قبري وتبكي.

أنا لست موجودًا، أنا لم أمت.

قبل انتهاء القصيدة، وصلت السيارة إلى أبواب القلعة، التي فُتحت على مصراعيها لدخول السيارة الحمراء، التي توقفت بعد عدة لحظاتٍ من إدخال النمرود الخنجر الذهبي في رأسه، ليخرج بعينه اليسرى!

ليخرج (سليم) من السيارة مسرعًا، لكنه لم يجد مَن يتبعه حيث

وجد صديقه جالسًا في السيارة؛ فيتركه لينطلق نزولًا على درجات البئر الحجرية، وأثناء الهبوط سمع أصواتَ عدة خطى تهبط معه إلى البئر.

في تلك اللحظة، ظل (شريف) يتابع البث ويشاهد النمرود بعد أن استفاق من صدمته، ليقف على قدميه مجددًا دون عينه اليسرى، لكن بمزيدٍ من الجنون؛ حيث ظل يبحث عن شيءٍ ما في الحوائط الحجرية المحيطة به، لكن زاد الغضب والصرخات عندما لم يجد المراد، وما هي إلا لحظاتٌ حتى بدأ جسد النمرود في التورم والانتفاخ، ثم وضع يده اليمنى أسفل رأسه من الخلف، ليجد دماءً تخرج من رقبته ليسقط على الأرض ميتًا.

******** ******** *********

صراع الوصول للهدف:

ظل (شريف) مراقبًا لشاشة الهاتف المحمول بين يديه متابعًا ما يبث من أعماق البئر؛ حيث ظل البث مستمرًا حتى بعد سقوط النمرود وحيدًا لكن للحظاتٍ وجيزة؛ فإذ بثلاثة ظلالٍ غير واضحة الملامح ظهرت. اقترب اثنان من الجثة الهامدة في محاولةٍ لإنعاشه وإنقاذ حياته لكن لم تظهر أي تفاصيل؛ حيث انقطع البث أخيرًا دون سببٍ واضح، فوضع (شريف) الهاتف في جيبه وحزم حقيبته وخرج من السيارة. ليخطو خطواته الهادئة نحو البئر، لكن سرعان ما توقفت الخطى، وأخذت الأعين تنظر إلى بوابة الجبل التي تم فتحها مرةً أخرى؛ لاستقبال وصول السرب الأسود أخيرًا إلى العاصمة القديمة، لتنطلق بعض السيارات نحو البئر، بينما يستمر باقي السرب في المُضي نحو قصر الجوهرة.

قبل توقف السيارات السوداء في الساحة الجنوبية الغربية المخصصة لها، يقفز العشرات من أفراد الحراسات الخاصة من سياراتهم، حيث يقوم كل فريقٍ في تأمين الشخصية السياسية المكلف بحراستها، ليزداد الازدحام الأمني بخروج أفراد الأمن المركزي؛ للإحاطة بهذا الفوْج المَهيب الذي يبدو من السيارات الدبلوماسية التي تحمل عدة أعلام دولٍ، بدءًا من علم تركيا، والصين، وسوريا، واليونان، وفرنسا، وبعض الدول الأخرى، ليترأس هذا الموكب في المقدمة سيادة اللواء (خالد عبد العزيز) المندوب من قبل القيادات العليا للدولة، محاطًا بمعاونيه من وزارة الداخلية ومن بينهم العميد (راجح).

قبل عبور السرب من بوابة الجبل، كان (سليم) قد أسرع في خطاه رغم صعوبة الدَّرج الحلزوني، والذي جعله الزمن وعرَ الخطا وملجأً الأفاعي، لكن الواجب الوطني دفع الضابط إلى الإقدام على هزيمة الدَّرج المنحوت والتركيز على الوصول إلى الهدف، غير مهتمٍ بالدَّرج المتآكل، أو الأفاعي، أو حتى ذلك الشاب الأشقر الجالس على الدَّرج متألمًا من أثر السقوط.

وما هي إلا لحظاتٌ حتى وصل (سليم) إلى الهدف شاهرًا سلاحه، ليأمر المنقذين الثلاثة بالابتعاد عن النمرود، والتراجع إلى الخلف قبالة الجدار الشرقي للبئر، لينفذ الشاب ذو القبعة الخضراء الأمر ويتراجع مسرعًا، بينما ينهض الأشيب في قليلٍ من التباطؤ، أما الكاهن ذو الرداء البرتقالي فقد انحنى احترامًا لأمر حامل السلاح بوجهٍ باسم، وخطا نحو الجدار في سكينةٍ واطمئنانٍ ناظرًا إلى النمرود نظرةً تخفي السعادة التي لم يلاحظها الضابط، الذي بدأ في إرسال إشارةٍ لا سلكيةٍ لطلب الإسعاف للنمرود، حتى وصل الأشقر أخيرًا بوجهٍ متألمٍ مصاحبٍ بالدموع من أثر سقطته، والذي طلب من (سليم) الاقتراب من الجسد الملقى على الأرض؛ لخبرته في الإسعافات الأولية من أجل محاولة إنقاذه ريثما تأتي النجدة والإسعاف، فسمح له (سليم) بذلك بأعينٍ حذرةٍ مراقبةٍ للثلاثة الواقفين قبالة الجدار الحجري، وفي نفس الوقت مراقبٌ لهذا الأشقر الذي بدأ بتفقدٍ سريعٍ للجُرح الموجود بأسفل رأس النمرود بالخلف، ثم محاولة إنعاشه عن طريق التنفس الصناعي، وتدليك عضلة القلب بالضغط على الصدر أملًا في إنقاذه، لكن انتهى الأمر ببكاء الأشقر

لفشل محاولاته المستمرة والتي أكَّدت أنَّ النمرود قد فارق الحياة.

بعد دقائق معدودة، وصل أفرادٌ من قوات الشرطة إلى القاع أخيرًا، والتي تلقَّت أمرًا مباشرًا من الرائد (سليم) بعدم الاقتراب من مسرح الجريمة، واصطحاب الحاضرين بالقاع إلى السطح لسماع شهادتهم والتحقيق معهم، ليتم تنفيذ الأمر على الفَور.

ليبدأوا رحلة الصعود إلى الأعلى، بينما يهبط ضيوفٌ جددٌ إلى القاع وهم فريق البحث الجنائي، وتتقدمهم تلك الفتاة ذات البشرة البيضاء كالثلج، والشعر الأسود الممزوج ببعض الخصلات الزرقاء، والأقراط التي تملأ أذنيها والخواتم التي تزين بها أصابعها العشر؛ حيث تقترب قليلًا من (سليم) ناظرةً إلى الجثة المغطاة بدمائها أثناء خلع خواتمها من أصابعها العشر من أجل ارتداء القفازات الطبية.

نورا: يا لها من فوضى مثيرة للاهتمام!

سليم: وما المثير للاهتمام؟ إنَّه مجرد رجلٍ مجنون يَدَّعي بعض الأكاذيب.

نورا: سيادة الرائد، هذا ليس التعامل الأول بيننا، أنت تعلم جيدًا أنِّي لست مثل الحمقى المؤمنين بما تراه العين دون إعقال الأمور، وما رأيته بالأعلى جعلني على يقينٍ بأنَّ هذه الجريمة أكبر من أن تكون كارثةً؛ لذلك لم أسألك عن أية تفاصيل، فلا تتلاعب بكلماتك لمجرد إخفاء الحقيقة؛ لقد فضَّلت العمل مع الموتى لأنَّهم ليسوا بكاذبين مثل الأحياء.

اجتنب (سليم) الحوار الذي قد يسفر عن إفشاء بعض المعلومات

الأمنية، وقد لاحظت (نورا) الأمر؛ فارتدت القفازات الطبية وهمَّت بالبدء في عملها لولا أن منعها (سليم) وباقي فريق البحث لعدة دقائق؛ حتى وصل (شريف) أخيرًا إلى القاع بخطواته الهادئة المعهودة، والتي انتهت فَوْر وصوله بجانب جثمان النمرود، لكن لم تتجول عيناه كعادتهما في أرجاء المكان، لم يهتم بمصافحة (نورا) التي همَّت لاستقبال المحقق الذي سمعت عنه الكثير من المغامرات، إنَّما ظل محدقًا إلى الأعور، على عكس صديقه الغاضب الذي ظل يجوب أرجاء البئر بحثًا عن الهاتف الذي قد اختفى عن الأعين، حتى بدأ بالزحف على الأرض لاستراق النظر داخل تلك الفوهات التي طمسها الزمن المؤدية إلى العمق الفعلي للبئر، لكن لم ينل الضابط سوى التراب الذي كسا ملابسه؛ فنهض ليزيح التراب من عليه بضرباتٍ غاضبةٍ، لكن لم تُلِنْ الضربات حدة غضبه بل زادته، حتى صرخ في وجه (نورا) الواقفة دون حراكٍ، ليأمرها بمتابعة عملها وإنهائه سريعًا؛ فامتثلت لأوامره على غير العادة، فتَهِمُّ بفتح حقائبها وتمد يدها للبدء في إخراج الأدوات الطبية اللازمة لفحص الجثة، ومعاينة مسرح الجريمة.

وفي تلك اللحظة، وجدت مَن سبقها لوضع يده في حقيبتها لأخذ قفازٍ طبي، فإذا ب(شريف) يرتدي القفاز أثناء توجهه صَوْب (سليم)، ليطلب (شريف) معطف صديقه الغاضب، لكن لم يعد (سليم) يتعجب من العجب نفسه؛ فخلع معطفه دون سؤالٍ ليعطيه إلى صديقه الذي أخذ المعطف دون شكرٍ، بل عاد إلى بقعته الأولى بجانب النمرود، فألقى المعطف على الأرض ثم جثا (شريف) على

ركبتيه فوق معطف (سليم) الذي قد نفذ من الغضب، فأخذ يكمل بحثه حول الجثة وتفقد حقيبته الصغيرة، فما وجد من شيءٍ سوى مخطوطةٍ أثريةٍ من الجلد، لا تحتوي سوى على بعض الكلمات المكتوبة بالخط الديواني:

(عند اختفاء الساقي في القدم الرابعة، تصعد إلى السابعة)

يعطي (سليم) صديقه تلك الكلمات لفك سرها، فما وجد من (شريف) سوى نظراتٍ لم تستمر سوى لحظةٍ إلى ما هو مكتوبٌ، ثم عاد مرةً أخرى لتفحص عنق النمرود وفمه، فلم يحاول (سليم) كشف سر الكلمات بنفسه ولم يهدر وقته بتلك المسألة، حيث كان الجنون هو سيد العقل في تلك اللحظة، فظل يبحث للمرة الثالثة عن مصدر البث المتسبب في أزمةٍ إعلاميةٍ كما يظن، لكنه لم يدرك الأسوأ حتى تلقَّى إشارةً لا سلكية من العميد (راجح) للتواجد على الفور بقصر الجوهرة، فلم يعترض (سليم) أو يجادل خاصةً بعد سماع صوت رئيسه بنبرةٍ من التوتر والقلق، لكن تنفيذ الأمر لم يكن بالسرعة المطلوبة؛ حيث انتظر وصول زميله (مصطفى) ليس فقط لتولي البحث والإشراف على مسرح الجريمة، إنما للاعتناء ب(شريف) الذي أخذ يفحص جثمان الضحية بدقةٍ شديدةٍ بواسطة العدسة المكبرة التي بدأت رحلتها من رأس النمرود حتى نعل حذائه؛ من أجل العثور على الأدلة الخفية.

شريف: شيءٌ غريب.

سليم: أخبرني أي شيءٍ، أرجوك.

شريف: تم تطريز الجزء الأسفل من العلامة التجارية الخاصة بقميص الضحية.

سليم: وهل هذا يدل على شيء؟

شريف: لا أعلم، لكنه خطأ في التصنيع.

أدرك (سليم) صعوبة الحصول على أي إجابةٍ من (شريف) المُبحِر داخل عقله من أجل حل القضية؛ لذا اقترب الرائد من (نورا) لمعرفة ما قد يفيد للإجابة عن أسئلة رئيسه المتوقعة، فبدأ اللسان بالسؤال عن المستجدات رغم أن العين ظلت ناظرةً إلى الخنجر الذهبي الذي لم يفارق قبضة النمرود حتى بعد وفاته.

لتقف (نورا) على قدميها لتطلع الضابط على ما توصل إليه الفحص المبدئي، تبيَّن وجود بعض الإفرازات ذات اللون الأبيض خارجةً من فم الضحية، وعندما بدأت (نورا) في تفسير سبب الإفرازات إلى (سليم) سبقها (شريف) أثناء تفحصه لجسد الضحية؛ حيث تعتبر خروج تلك الإفرازات دلالةً على تراكم السوائل في الرئتين، والذي قد يحدث لعدة أسبابٍ.

شريف: ارتفاع ضغط الدم المفاجئ، تضرر عضلة القلب، الالتهاب الرئوي، التهاب البنكرياس.

توقف (شريف) عن الشرح بطلبٍ من صديقه المتيقن بأن الشرح الطبي ل(شريف) قد ينتهي بعد عدة أيامٍ؛ لذلك فضَّل الرائد معرفة التحليل المبسط والمختصر من (نورا)، التي يظهر على وجهها علامات الإعجاب المصحوبة بشيءٍ من السذاجة إلى (شريف)،

والمستخدم نظارته المكبرة في فحص شظياتٍ بلاستيكية ضئيلة الحجم، لكن سرعان ما عادت إلى حياتها العملية لتستكمل سرد ما توصلت إليه، وأهمها وجود ثقبٍ دقيقٍ في مؤخرة العنق قد يكون في الغالب السبب الرئيس للوفاة، لكن المثير في الأمر هو عدم وجود المتسبب.

سليم: لا أملك الصبر أو الصفاء لحل تلك الطلاسم، أريد إجاباتٍ واضحةً.

نورا: ما أحدث هذا الثقب إبرةٌ حادةٌ قامت باختراق الحبل الشوكي، من الغريب أنَّ الإبرة غير موجودةٍ بالجسم، ولا تسأل عن إبرةٍ في قاع بئرٍ، لكن يوجد شيءٌ أغرب من ذي قبل.

سليم: وماذا عن الخنجر؟ وما الشيء الغريب؟

أخرجت (نورا) هاتفها لمشاهدة البث الدموي مرةً أخرى، وبالتحديد في اللحظة التي اقتلع النمرود عينه، لتبدأ (نورا) بالشرح الطبي أن اقتلاع العين بهذه الطريقة لا يسبب الموت خاصةً أن النصل لم يخترق الرأس، وأكملت شرحها أثناء مشاهدتهم للحظات التالية للبث عندما وضع النمرود يده على الثقب الذي خُلق من عدمٍ؛ فتظهر قطرات دمائه على أصابعه، الأمر الذي أثار انتباه كلٍّ من الضابط والطبيبة لعدة أسبابٍ؛ أولها: أن النمرود كان وحيدًا بالبئر فلا يوجد أي كائنٍ مرئي قد يكون متسببًا في هذا الثقب، أما رؤية (نورا) قد اختلفت بعض الشيء.

نورا: قد تكون تلك الإبرة قد قُذفت من مسافةٍ بعيدةٍ من زاويةٍ

غير مرئيةٍ، وربما قد تكون خرجت من جسد الضحية وأصبحت تحت أقدامنا رغم استحالة الأمر، لكن ما لاحظته هو رد فعل جسد النمرود الذي لم يتغير لحظة اختراق الثقب لجسده؛ فاختراق الجسد قد يتحمله صاحبه لكن لا بدَّ من وجود رد فعلٍ لا إرادي للجسد، وذلك لم يحدث للضحية.

في تلك اللحظة، وصل الضابط (مصطفى) أخيرًا بوجهٍ متوترٍ وقلقٍ، ليطلب من زميله الصعود على وجه السرعة؛ فأدرك (سليم) أن البئر قد يكون أكثر أمانًا من السطح، لكن قبل مواجهة المصير المجهول توجَّه نحو (شريف) الذي بدأ في تفحص العلامات الدائرية الناتجة عن الحجامات المتواجدة على ظهر الضحية ممسكًا بشيءٍ شفافٍ صغير الحجم بيده.

سليم: يجب أن أذهب الآن، سأترك (مصطفى) برفقتك. هل ستكون بخير؟

شريف: جسد الجثمان متورم.

سليم: وهل هذا دليلٌ على شيء؟

شريف: نعم.

سليم: هل ستخبرني ما هو؟

شريف: لا.

سليم: ما الذي تحمله بين أصابعك؟

شريف: دليل.

سليم: حقًا؟! وما هو؟

شريف: قطعةٌ جيلاتينية صغيرة الحجم، كانت بجانب الجثة.

سليم: هل هذا دليل؟

توقف العجب عن زيارة (سليم)؛ فأصبح على يقينٍ أنَّ (شريف) لن يجيب عن أي أسئلةٍ إلا في الوقت المناسب بالنسبة له؛ لذلك توجَّه (سليم) إلى الدَّرج للبدء برحلة الصعود التي قد تستغرق ثماني دقائق أو أكثر، لكن تراجعت الخطوة الأولى عندما سمع سؤال صديقه.

شريف: هل أصبت بسكينٍ من قبل؟

سليم: نعم.

شريف: هل كان مؤلمًا؟

سليم: أكثر مما تظن.

شريف: لماذا إنسان يقتلع عينه بإرادته؟ لماذا في بئر يوسف؟

سليم: لا أعلم، ولا أهتم؛ ربما كان شخصًا مختلًا مؤمنًا بخرافاتٍ، ما أهتم به الآن هو حل القضية، ومَن القاتل بالأدلة القاطعة.

شريف: يجب معرفة سبب نزول النمرود إلى البئر؛ لمعرفة القاتل.

سليم: وهل علمت ذلك السبب؟

شريف: لا، فقط علمت لماذا اقتلع عينه.

******** ****** ****** ******

الجوهرة وإعادة البث:

كانت الأقدام تركض وكأنَّها تركض مذعورةً تهرب من شيءٍ يطاردها، لكن الأقدام لم تكن تعي أنَّها تهرب إلى ما يثير ذعرها؛ حيث وصلت بصاحبها إلى الطرف الجنوبي الغربي للساحة الملكية؛ فوجد (سليم) عائقًا مَهيبًا يفصله عن الوصول إلى رئيسه، حيث تزدحم الساحة الأمامية ب الحرس من كافة المستويات، سواء من الحرس الخاص بالسادة السفراء، أو رجال الأمن الوطني، أو أفراد القوات الخاصة الواقفين في مجموعاتٍ منفصلة على جانبي مدخل القصر الذي تم الانتهاء من ترميمه حديثًا، ولم يتم افتتاحه سوى لذلك الاجتماع الطارئ.

تنتهي أخيرًا المناورات داخل هذا الزحام، ليصل (سليم) أخيرًا إلى مدخل القصر الرئيس الذي يقع أمامه مظلةٌ محمولةٌ على الأعمدة الرخامية البيضاء والسقف المزخرف بالفن العثماني، لكن لم ينشغل (سليم) بالتحفة المعمارية العريقة إنما انشغل بباب القصر المغلق، والذي يقف على حراسته اثنان من الجنود برئاسة العميد (مظهر).

مظهر: أمرت الجميع بالابتعاد عن هذا الباب، مَن تكون لتعصي أوامري؟

ليقترب (سليم) من العميد (مظهر) الناظر إليه باحتقارٍ؛ ليخبره بأنَّه هنا بأمرٍ من سيادة العميد (راجح).

مظهر: إذن، أنت (سليم)، لماذا تأخرت يا هذا؟ الجميع بانتظارك.

سليم: ماذا تعني بالجميع؟

لم يكن هناك وقتٌ للإجابة على أي تساؤلاتٍ، ليأمر (مظهر) بفتح الباب من أجل (سليم) على الفَوْر، فأسرع (سليم) إلى الداخل حيث لم يكن يملك الوقت لتأمل ما حدث أو ما قيل له، وما قصد العميد (مظهر) بأنَّ الجميع في الانتظار؟!

لم يجد (سليم) الوقت الكافي لتأمل البهو الملكي المكسوِّ بالرخام الأبيض، أو النظر إلى العرش الذهبي، أو حتى إلى صور ملوك مصر المرسومة بحرفةٍ انقرضت في العالم أجمع، بل ظل يركض في الرواق وعقله مشغولٌ مما حدث ومما سيحدث.

يصل أخيرًا إلى قاعة العرش الملكية المَهيبة، ذات الزخارف والنقوش الممزوجة بين الفن العربي والتركي، ولم تكن هَيْبة القاعة في الفن المعماري فقط إنما كانت لتاريخها العريق؛ حيث أصدرت منها المرسومات الملكية القديمة، أما الآن فأصبحت هَيْبتها أكثر رعبًا؛ حيث تم تجهيزها بطاولةٍ ضخمةٍ وعشرات المقاعد المشغولة بجنسياتٍ مختلفة من العالم أجمع.

لم يكن بمُخيلة (سليم) أنَّ الجالسين حول الطاولة مندوبون من أكثر من خمس دولٍ، بالإضافة إلى عددٍ من القيادات بوزارتي الداخلية والخارجية.

أما بالصفوف الخلفية، يجلس المساعدون للسفراء والمترجمون غير المتوقفين عن الأحاديث الجانبية، وعلامات القلق والخوف على وجوههم مما هو آتٍ.

شهد (سليم) ما لم يشهده طوال سنين عمره، بدءًا من سماعه

لعدة لغاتٍ مختلفة في آنٍ واحد ومكانٍ واحد بنبراتٍ غاضبةٍ وحادةٍ، فيجد (سليم) المقعد الخالي الوحيد الخاص به خلف الأساطير الجالسة بالأمام، تحديدًا خلف العميد (راجح)؛ فيجلس مسرعًا محركًا مقعده إلى الأمام قليلًا حتى تصبح شفتاه قريبةً من أذن رئيسه الجالس في تشاورٍ مستمرٍ مع العميد (صابر).

سليم: ماذا يحدث هنا يا سيدي؟ هل هي كارثةٌ تهدد الوطن؟

راجح: وهل لنا مكانٌ هنا بعد حدوث الكارثة؟

سليم: إذن، ماذا يحدث؟

راجح: نحن هنا لإبعاد الكارثة عن البلد، ومن هنا يأتي دورنا.

سليم: هل من الممكن التوضيح يا سيدي.

نفد الوقت قبل معرفة (سليم) لهذه الأزمة الغامضة، وانتهت جميع الأحاديث الجانبية فَوْر سماع الصوت الهادئ المنتظر، الذي أمر الجميع بالصمت لبدء الاجتماع؛ فتتوجَّه الرؤوس نحو رأس الطاولة حيث يجلس اللواء (خالد عبد العزيز) ذو الابتسامة التي تكاد أن تكون ضحكاتٍ غامضةً.

خالد: في بادئ الأمر، أُرحب بجميع السادة الحاضرين، لكن حتى الآن لا أعلم سبب استيائكم وحضوركم إلى هنا.

كيرال ألتان: أولًا أحب أن أشكرك يا سيدي، على استضافتنا بهذا الشكل اللائق، لكن أنت تعلم جيدًا أننا في صددِ مشكلةٍ عالمية، إذا تم التعامل معها بشكلٍ خاطئ قد تسبب أزمةً دبلوماسيةً بين العديد من

الدول.

لم يستطع (خالد) إخماد ضحكاته التي انفجرت دون توقف، الأمر الذي أثار غضب العديد من الحاضرين؛ فينهض السفير الأمريكي (مارك موريسون) معترضًا على الأسلوب غير المقبول في الحوار، لكن سرعان ما تراجع (مارك) عما قاله فَوْر نهوض (خالد) الذي أخرج ما بجوفه من غضبٍ عارمٍ في وجه (مارك)؛ ليعم الصمت والرعب في قلوب جميع الحاضرين. تمر اللحظات ليمسح اللواء (خالد) ملامح الغضب من على وجهه مستبدلًا إياها بابتسامته، فيجلس على مقعده مرةً أخرى.

خالد: أرجو أن تتذكروا جميعًا بأنَّكم لستم بوطنكم، أو داخل أسوار سفارتكم، أنتم الآن ضيوف الوطن، فلا يحق للضيف أن يملي على صاحب البيت كيفية علاج مشكلاته، وبالأخص السيد (مارك) الذي لا أعلم حتى الآن سبب حضوره، طبقًا للمعلومات بأنَّه لا يوجد أيٌّ من السائحين داخل القلعة من الولايات المتحدة الأمريكية، أو حتى حامل للجنسية الأمريكية.

ينهض السفير الصيني (لي- يونجا - هوا) معتذرًا بالنيابة عن الحاضرين عن سوء التفاهم الواقع بين الجميع؛ فيوضح الأمر لسيادة اللواء (خالد) بأنَّ حضور السفراء مجرد إجراءٍ احترازي لا أكثر؛ حيث أنَّ تواجدهم ما هو إلا خوفٌ على مصلحة مواطنيهم، والتأكد من القبض على هذا المجرم الدولي، مؤكدًا أنَّ التحقيقات من اختصاص الأجهزة الأمنية المصرية.

خالد: أشكرك يا سيادة السفير، على هذه الكلمات الدقيقة، وأعدك يا سيدي، كما أعد الجميع بحل هذه المشكلة في أسرع وقتٍ ممكن، أما الآن....

ينقطع الحديث فجأةً؛ حيث يلاحظ (خالد) والحاضرون انفعال العميد (راجح) الغاضب من (سليم) الذي لا يتوقف عن نكز رئيسه؛ محاولًا الاستدلال عما يحدث حوله.

خالد: هل من مشكلةٍ يا سيادة الرائد؟

سليم: لا، يا سيدي.

خالد: أنت لا تعلم سبب حضورك إلى هنا، أليس كذلك؟

راجح: لا تقلق يا سيدي، نحن...

خالد: سيادة العميد، لقد اكتفيت من الكلمات الدبلوماسية كما ترى، أريد إجابةً صريحةً.

راجح: في الواقع، قد تم تكليف الرائد (سليم) منذ دقائق، ولكن...

سليم: ولكن لم أنتبه جيدًا لكلمات سيادة العميد (راجح)؛ فقد أمرني بالحضور على وجه السرعة دون مناقشةٍ، وقد تم تنفيذ الأوامر.

لتأتي الفرصة أخيرًا للعميد (صابر) ذي الابتسامة الساخرة، يقاطع المحادثة ليظهر قدراته للواء (خالد):

صابر: أعتقد من الأفضل يا سيدي، أن أتولى هذه القضية مع

فريقي؛ فنحن على الأقل على علمٍ بتفاصيل الأمر.

تتراجع قوة (صابر) بعد نظرات اللواء (خالد) التي تنمُّ عن غضبٍ، ليبدأ (خالد) التحدث بنبراتٍ حادة:

خالد: أشكرك يا سيادة العميد، على هذه الحماسة، وأرجو أن تبذل ما بجهدك للتعاون مع العميد (راجح)، وأرجو ألا تقاطعني مرةً أخرى حتى لا تقف مع الحرس بالخارج.

يرجو (خالد) الحاضرين التحلي بالصبر قبل مناقشة الوضع الراهن لتلك القضية، وإعادة مشاهدة البث المتسبب في تلك الكارثة؛ حيث يجد (خالد) أنَّ هناك الكثير من الحاضرين لم يشاهدوا المقطع كاملًا، ليتم تنفيذ الأمر على الفَوْر؛ فتُغْلَق الأضواء وتشاهد الأعين على شاشة العرض الكبيرة بداية ظهور العجوز الضخم ذي البدلة الرمادية، ناظرًا إلى الكاميرا في صمتٍ للحظاتٍ قليلة، لا يوجد شيءٌ سوى تلك الابتسامة التي تعبر عن الوصول بعد رحلةٍ شاقة.

النمرود: أعلم أنَّ هناك البعض قد علم وجهي منذ الوهلة الأولى، قد يعرفني بعض الناس منذ أكثر من عشرة أعوامٍ ب (عم شافعي) صاحب مركز النجوم للغطس بأبي قير بالإسكندرية. أما عن بعض الأجهزة الأمنية ظنت أنِّي قد فارقت الحياة بعد رحلةٍ طويلةٍ من المطاردات والبحث عني، لكنني عدت للبشرية بوجهي الحقيقي، بعد رحلةٍ طويلةٍ من البحث في العالم القديم، حتى وصلت إلى منبع القوى التي لن أحصل عليها قبل التجرد من كل ما جنت يداي طوال حياتي.

نحن أبناء آدم الذي خرج من الجنة من أجل شجرة الملك والخلود، وهذا ما أسعى له، وسأريكم القوى التي لم ترها عينٌ من قبل، لكن قبل ذلك يجب أن أقصَّ الحكاية دون ذكر بعض الأسماء أقسمت بالدماء ألا أذكرها.

أُدعَى (سام مردوخ)، أحد المتخصصين في الآثار السومرية والآشورية، لكني قمت ببيع علمي لمَن يقدره بالمال.

في الخامسة والعشرين، أتت الفرصة حيث عقدت صفقة العمر، وجنيت من المال ما لم أحصل عليه في حياتي الفقيرة في مقابل رحلةٍ ميدانيةٍ؛ لاكتشاف بعض الحفريات في الشرق الأوسط.

كنت من أحد أفراد قوات الكوماندوز، الذين تم إنزالهم عام 1991 في موقع تل اللحم في جنوب الناصرية، والتي تحمل تاريخًا من المعارك والأسرار، وتم إقامة معسكرٍ سري في هذا الموقع لعدة أيامٍ، وكنت فردًا من العلماء الذين قاموا بالتنقيب ليلًا ونهارًا في تلك المنطقة تحت حراسةٍ عسكرية، وهناك وجدت بداية الحُلم؛ فقد أطلق بعض أفراد الحملة الاستكشافية على ما تم اكتشافه بآثار الملك النمرود حاكم الأرض الأول، مخطوطات تخص ما تعلمه من سحرٍ، ومخطوطات وتماثيل أخرى خاصة بكهنة بابل، بالإضافة إلى ألواحٍ حجرية ضخمة منقوشٍ عليها باللغة السومرية قصة لقاء النمرود مع الشيطان، والأهم مما سبق هي المخطوطات الكلادنية التي سجلت القوى الستة التي سيطرت على مخلوقات الأرض المرئي وغير المرئي؛ لذلك أطلق بعض المتواجدين بالمعسكر على ما تم اكتشافه بحفريات الشيطان.

في صباح اليوم الأخير، هبطت إحدى الطائرات في الموقع، وخرج منها رجلٌ من أصحاب النظارات السوداء، وقد أمرت قوات الكوماندوز بأخذ ما تم اكتشافه من كنوز النمرود، وتدمير كافة الألواح والتماثيل التي تخص كهنة بابل بعد التقاط آلاف الصور لها؛ وذلك لصعوبة حملها، الأمر الذي كان يحطم قلبي حتى أنِّي كدت أموت للدفاع عن تلك المقتنيات.

وفي تلك اللحظة، أتى إلَيَّ صاحب النظارة السوداء وأخذني إلى إحدى الخيم، وبعد ساعةٍ من المناقشات والاتفاقات خرجت من الخيمة بهُويةٍ جديدةٍ حياةٍ جديدةٍ، وأصبحت (سامي النمرود) الموظف الجديد بالمُتْحف العراقي، وأصبحت مكلفًا بعملٍ سري تابعًا لإحدى المنظمات التي تسعى لمعرفة كافة التفاصيل عن القطع الأثرية المتواجدة داخل العراق، بالإضافة إلى المخطوطات، ولكن الأهم من ذلك هو عمل بحثٍ كاملٍ مستعينًا بكافة المخطوطات المتواجدة في المُتْحف من أجل الوصول إلى عنصر الشيطان، وهذا هو المصطلح الذي قاله صاحب النظارة السوداء.

عشت لسنواتٍ عديدةٍ أعمل بالنهار كمتخصصٍ بالمُتْحف العراقي، بالإضافة إلى الإشراف على عمليات التنقيب.

ومنذ بداية حياتي بالعراق كان عَلَيَّ إنشاء صداقةٍ وطيدةٍ مع أحد العلماء المتخصصين في تاريخ بابل، ألا وهو الدكتور (فريد الحكيم)، كان لنا نفس الشغف للاكتشاف والبحث عما غمره الزمن لكنه كان يسعى للعلم، أما أنا فكنت أسعى لما هو أكثر، وقد ساعدني

في الكثير من الأبحاث، وربط العصور والأزمنة الكلدانية بالآشورية، وعن أسطورة النمرود، وما تم ذكره بدءًا من الكتب السماوية، ثم المخطوطات القديمة، أو الأساطير، أو الكتب القديمة مثل: الطبري، والفردوسي، وابن كثير، وغيرها، حتى ما تم ذكره عنه في الروايات الحديثة.

وكان (الحكيم) سعيدًا لوجود مَن يشاركه شغفه، حتى ظن أنِّي من نسل النمرود، واستمر البحث وحل الألغاز والأحاجي لسنواتٍ، ولكن على الجانب الآخر كنت أعمل في الجانب المظلم.

بعد غروب الشمس، كانت لي حياةٌ أخرى رسمتها لي المنظمة، وأصبحت على علاقةٍ وطيدةٍ بالمهربين وتجار الآثار، حتى أنِّي كنت أخرج من المدينة ليلًا لأبيت مع المهربين في الصحراء، وكان أحد أمهر المهربين الآسيويين والأكثر ثقةً هو (شو- ياكو)، كنت أستعين به دائمًا في سرقة الآثار من المواقع وتهريبها.

وبعد حرب الخليج، قمت بعمل خططٍ منظمةٍ لسرقة بعض المتاحف من بينها متاحف آشور، وواسط، وعكركوف، وبابل وكان الهدف من تلك السرقات هو توطيد العلاقات بالمجرمين، والمهربين، وتجار الآثار، بالإضافة إلى الحصول على بعض المقتنيات لدراستها.

أما السبب الرئيس هو التدريب من أجل العملية الكبرى.

بعد أكثر عشر سنواتٍ من الألغاز، توصلت أنا والحكيم إلى سر القوى، والطريق الذي سلكته إلى خارج بابل في مختلف بقاع الأرض، ثم ظل خفيًا رغم المحاولات العديدة لإيجاده منذ مئات السنين،

ولم يتبقَ من الأمر سوى بضع خطواتٍ لتحديد البقاع المنتشرة في العالم.

وقد أرسلت إلى المنظمة تقريرًا بما توصلت إليه خطوةً بخطوةٍ، وبناءً على التقارير المرسلة يتم وضع الخطة العظمى وتحديد الموعد المراد، وتم البدء في تنفيذ الخطوة الأولى ألا وهي ضرب البرجين في الحادي عشر من سبتمبر 2001، والتي كانت سببًا كبيرًا في توجس الحكيم، وشعوره بالريبة من الأمر، وأنَّ الشر قادمٌ إلى أرض الوطن، وأيقن أنَّ هذا السر يجب أن يظل تحت التراب إلى يوم الفناء، وليس كل علمٍ يجب اكتشافه والعمل به؛ فقد يكون مثل اختبارٍ من الله مثل فتنة هاروت وماروت، وازدادت الريبة في قلبه عندما وجد إصراري الشديد على إكمال الطريق.

وفي تلك اللحظة، فقدت الصديق الذي تركني قبل نهاية الهدف، وأصبح العدو بعد أن قام بسرقة كل بحثٍ قمنا به سويًا من أجل حفظه في القبو الخاص بالمُتْحف؛ لذلك ما كان أمامي سوى الاتصال بالمنظمة للبدء في تنفيذ الخطوة الكبرى.

وبالفعل، تم إصدار الأمر في بداية عام 2002، بعمل الترتيبات اللازمة مع أصدقاء الليل لاقتحام مُتْحف العراق، كما أرسلت التحركات الخاصة بالجهات الأمنية العراقية التي بدأت في نقل الأرشيف اليهودي، الذي يحتوي على آلاف الوثائق والتحف النادرة منذ عهد السبي البابلي الأول، بالإضافة إلى أقدم نسخ التوراة والتلمود والتحفظ عليها جميعًا في مبنى المخابرات العراقية، بالإضافة إلى ما تم حفظه في البنك المركزي العراق.

وعندما تم إصدار الأمر، وقمت بالتحرك مع تحالف العصابات في العاشر من أبريل عام 2003، وتم اقتحام المُتحف العراقي.

وبينما ظل الجميع مشغولًا بسرقة المقتنيات الثمينة، استعنت أنا ب(شو- ياكو) لاقتحام القبو وسرقة الأبحاث والمخطوطات، ولكني وجدت ما يحول بيني وبين هدفي؛ حيث وجدت الحكيم فقتلته دون ترددٍ أو ضميرٍ وحملت المراد، وأخذ (شو- ياكو) كل ما يتمنى، وانسحبت العصابات بعد أقل من ساعةٍ، وأخذت من تجار الآثار ما يكفي لشراء مدينة بقاطنيها، وكان ل(شو - ياكو) من الأمر النصيب وهربنا سويًا عبر الحدود السورية، لكن لم يكتفِ بالذهب؛ فكان دائم السؤال عما بداخل المخطوطات والأوراق التي أضمها لصدري طوال الوقت حتى زار الشك صدري؛ فأدركت أنَّني يجب أن أختفي تمامًا عن الحياة، ودفن أي دليلٍ قد يعيدني إلى قبضة المنظمة التي لن تكتفي بكنوز العراق؛ لذلك كانت فكرةٌ واحدةٌ في عقلي، ولم أتردد للحظةٍ واحدةٍ؛ فأطلقت النار على (شو - ياكو) وتركت جسده يتعفن وسط الجبال.

هربت إلى عدة بلدانٍ ودولٍ في آسيا، وأوروبا، وإفريقيا، وكنت دائم التنقل والعمل خفاءً في التنقيب عن الآثار وتهريبها عبر الحدود.

وعلى الجانب الآخر، احتفظت بالقوى العظمى لنفسي، وأخذت على عاتقي استكمال ما لم يكمله الحكيم.

وكما يعلم البعض أنِّي أصبحت من المطلوبين دوليًا لعدة جرائم

ارتكبتها ولم أرتكبها، ولم يكن لي وطنٌ حتى عام 2010، بعد أن غيَّر الزمن بعض ملامحي أصبحت لي هُوية جديدة؛ حيث كنت أتعامل مع رجلٍ يُدعَي (شافعي الغريب) في التهريب على الحدود الليبية. أما هو فكان من صعيد مصر، لكنه لم يعد إلى وطنه منذ أكثر من عشرين عامًا، وكانت خطيئته الكبرى أنِّي الشخص المناسب لأحل مكانه؛ فقتلته وعشت في الإسكندرية باسم (شافعي الغريب) حتى هذا اليوم، وتوقفت عن أي عملٍ يثير الشبهات، وظللت أضع اللمسات الأخيرة في البحث للوصول إلى القوى العظمى.

وها قد انتهى البحث بين الخرائط، والمخطوطات، والحفريات القديمة والأثرية في الشرق الأوسط كافةً، والتي قادتني أخيرًا إلى هذه البقعة في أعماق المحروسة التي أخفت في جوفها أول عنصرٍ من السر الأعظم، والذي سيغير العالم بأسره.

بدأ العجوز في إخراج الشمعات السوادء الخمس من حقيبته الجلدية، ووضعها في أماكن متفرقةٍ في أنحاء هذا المكان الضيق، وعندما انتهى وقف بالمنتصف فأخرج الشيء الوحيد المتبقي بداخل الحقيبة الذي زاد وهج المكان من لمعانه، وما هي سوى لحظاتٍ ليرفع يديه إلى الأعلى حاملًا في قبضته اليمنى ذلك الخنجر الذهبي، ليبدأ في تلاوة الطقوس بصوتٍ عالٍ يجوب صداه في أرجاء المكان.

"ناين ستاندا يافير ماين دايز ايوا سايرجشا"

******* ******* *******

ما قبل التحقيق:

بعد صرخات النمرود الأعور الذي ظل يهرع في أرجاء المكان بحثًا عن شيءٍ لا يعلمه الناظرون، ظهر الاختناق على وجهه وقطرات الدماء على عنقه ثم سقط أرضًا، ليهبط الثلاثة ظلالٍ إلى البئر لإنقاذه وينقطع البث.

تُضاء الأنوار مرةً أخرى بقاعة العرش، لتبدأ التساؤلات من قبل اللواء (خالد) إلى أول مَن وصل إلى البئر من الضباط، لينهض (سليم) ليروي كافة الأحداث والمستجدات منذ لحظة عبوره إلى باب الجبل، مرورًا بالدَّرج الصخري للبئر والذي أعاق وصوله بسرعةٍ، ثم وصوله إلى البئر شاهرًا سلاحه في وجه الثلاثة المتهمين في الوقت الذي كان الأشقر يحاول إنعاش النمرود، والدقائق التي تلتها بوصول قوات الشرطة لأخذ الأربعة، وقد تحفظ عليهم في القاعة المجاورة بداخل القصر، بالإضافة إلى وصول فريق البحث الجنائي الذي توصَّل حتى الآن إلى بعض الإفرازات والثقب الخلفي أسفل الرأس والذي...

توقف (سليم) عن سرده، وعمَّ الصمت للحظاتٍ، ونظر الجميع إلى الصوت الذي قاطع الاجتماع، وتناول (راجح) الحبوب المهدئة؛ استعدادًا لكارثةٍ أشد فتكًا من النمرود نفسه.

شريف: لم تخبرني بهذا الأمر، كان يجب إخباري بما حدث.

أخذت بعض الأعين تنظر إلى (شريف) بتعجرفٍ، وبعضها بغضبٍ من الدخيل على مجلس العظماء، أما البقية فلم تكن تنظر إلى ما

يحمله (شريف) في حقيبته البلاستيكية الشفافة؛ فقد كان لبريق الخنجر الذهبي سحرًا لا يقاوم.

لكن سرعان ما ينتهي الصمت بعد سؤال اللواء (خالد) عن هُوية هذا الشاب؟ وكيف سمح له جيش الحرس بالدخول إلى قاعة العرش؟

وفي تلك اللحظة، يقتحم الاجتماع ضيفٌ جديدٌ والذي قام بالتعريف عن نفسه وإخراج هُويته التي تحمل اسم (محمد الديب) الضابط الذي تم إرساله من قِبَل البوليس الدولي من أجل الإشراف على هذا التحقيق، بالإضافة إلى مشاركة الجهاز الأمني المصري ببعض المعلومات التي قد تفيد في القضية.

الديب: عذرًا على التأخير، لكنني وجدت هذا الشاب منتظرًا خارج باب القصر، وتحدثت إليه وجدت الكثير مما هو مفيدٌ لحل هذه القضية، وعندما نظرت بيده رأيت أحد الأدلة المهمة؛ فوجدت أنَّه من الأفضل أن يظل داخل القصر لا بخارجه، إن أذنت له يا سيادة اللواء.

خالد: لم أحصل على إجابة سؤالي، مَن هذا الشاب؟

كاد (سليم) أن يجيب لولا تدخل رئيسه الذي أجاب بملامح حادةٍ وصوتٍ قوي، إنَّ هذا هو (شريف هدهد) وقد ذكره (راجح) من قبل في التقارير السابقة. فبدأ (راجح) في ذكر باقي التفاصيل التي توضح سبب تواجد هذا الشاب داخل أسوار القلعة، لكن سرعان ما انتهت كلماته بأمرٍ من سيادة اللواء (خالد) الذي ظل في صمته لبضع لحظاتٍ ملقيًا نظراته الحادة نحو (شريف)، فانتهت اللحظات بنهوض

(خالد) من عرشه ليأمر باستراحةٍ لمدة دقائق.

لم يقوَ أحد الحاضرين على مخالفة أمره، فتظهر الأحاديث الجانبية من جديدٍ بين السفراء مع المساعدين الخاصين بهم، وعلامات القلق والتوتر على وجوههم، بينما ينفرد (خالد) بالحديث مع كلٍّ من (راجح) و(سليم) بعيدًا عن جميع الآذان.

خالد: مَن صاحب قرار التحاق هذا الهدهد في تلك القضية الشائكة؟

سليم: لقد صدر الأمر صباحًا لكافة الضباط للبحث عن النمرود في أسرع وقتٍ؛ لذلك كان....

خالد: توقف عن تلك الكلمات الدبلوماسية؛ لذا أرجو الإجابة عن سؤالي: مَن صاحب هذا القرار؟

هَمَّ (راجح) في تولي المسئولية إلا أنَّ (سليم) قد سبقه هذه المرة، واعترف (سليم) بعصيان الأمر، والتوجه إلى (شريف هدهد) بخبرته الواسعة في مختلف المجالات في الوصول إلى النمرود في وقتٍ قياسي، بالإضافة إلى مساهمات (شريف) السابقة ومساعدته لجهاز الشرطة في حل عدة قضايا من قبل.

خالد: لكنها ليست مثل سابق القضايا أيها الأحمق، ما شاهدته الدول أنَّ أرض الوطن تحتضن مجرمًا دوليًّا لعدة سنواتٍ دون إدراك جهاز الأمن، هل واجهت مثل هذه القضية من قبل؟

سليم: لا، يا سيدي.

خالد: إذن، لا تستعين بأخطائك السابقة لإصلاح المستقبل المجهول، واستخدم عقلك قليلًا؛ إنه مجاني.

راجح: سيادة اللواء، لقد خدمت معك في السابق، كما أننا أصدقاءٌ قدامى، أنت مَن طلبت التوقف عن الكلمات الدبلوماسية التي لا قيمة لها سوى الهروب من الحريق وليس إخماده، أخبرني بما يشغل بالك يا صديقي؟

لم يكن لدى (خالد) سوى الاعتراف بعدم ثقته في أي شخصٍ؛ حيث وَرَدَ من الأجهزة الأمنية المختلفة باختراق (النمرود) لجهاز الداخلية، وتعاملاته غير المشروعة مع الكثير من القيادات السابقة التي تم القبض عليها، لكن مع وجود الكثير المختبئين بين الكثير من الضباط، بالإضافة إلى كثيرٍ من المواطنين ورجال الأعمال الذين تم القبض عليهم سابقًا، وخير دليلٍ أنَّه ظل مختبئًا لسنواتٍ دون الوصول إليه حتى وفاته؛ لذلك لم يكن أمام (خالد) سوى (راجح) الاسم الذي لم يكن له أي صلةٍ على الإطلاق ب (النمرود). فيتقدم (سليم) واعدًا اللواء (خالد) ببذل المستحيل لحل هذه القضية.

خالد: فعل المستحيل غير كافٍ؛ تلك الفِعلة الشنعاء كانت على مرأى أنظار العالم، وقد حضرت الدول مطالبةً بكافة المعلومات عن المجرم الذي ارتكب مئات الجرائم في شتى بقاع الأرض، قد نعلم بعضها لكن من الواضح أنَّ هناك شيئًا نجهله. هذا بالإضافة إلى المتهمين ذوي الجنسيات الأجنبية، والإعلام على أبواب القلعة منتظرًا نتيجة هذا المجلس، ولن يغادر أحدٌ أسوار القلعة قبل معرفة الحقيقة؛ لذلك أمامكما اليوم فقط لإنهاء التحقيق.

يوضح (خالد) أنَّه ليس من السهل احتجاز المتهمين للتحقيق معهم أكثر من يومٍ واحد فقط، خاصةً في تواجد السفراء للتأكد من سلامة مواطنيهم.

يلاحظ (خالد) الهمسات المتبادلة بين (سليم) ورئيسه، ليطلب (خالد) التدخل في هذه المناقشات الجانبية؛ لمعرفة ما يدور بذهنيهما، ليتحدث (سليم) رغم اعتراض (راجح) على الحل الذي قد يسبب له أزمةً صحيةً.

خالد: يبدو أنَّك غير راضٍ عن تواجد (شريف هدهد) في هذه القضية.

سليم: سيدي، أنا أؤكد لك أنَّنا نستطيع أن نحل هذه القضية، لكن ليست بالسرعة المطلوبة. أما بمساعدة (شريف) فإنَّنا قادرون على إنهاء القضية قبل نهاية اليوم.

خالد: كم أنت متحمسٌ لعملك! لم أكن بهذه الحماسة عندما كنت في عمرك؛ لأنَّ الحماسة حماقة. هل تظن أنَّك ستصل إلى ما وصلت إليه؟ لقد اطلعت على التقرير الخاص ب(شريف هدهد)، وأعلم عنه ما لا تعلمه لكني لست مهتمًا، ما أهتم به في تلك اللحظة هو قرار (راجح)؛ لذا هل تؤيد هذا الكلام يا سيادة العميد؟ هل حقًا نحتاج هذا الهدهد في قضيتنا؟

راجح: لا، يا سيدي، لكننا نحتاج توافر كل الوسائل المتاحة لحل القضية كما هو مطلوب.

أومأ (خالد) برأسه لينفذ الحرس الأمر بالطلب من (شريف) الاقتراب إلى الاجتماع الثلاثي، لينفذ (شريف) بعد أن طلب (سليم) منه ذلك، ليكتمل الاجتماع الرباعي الذي ظل في صمتٍ للحظاتٍ قليلة، حتى بدأ (خالد) بالسؤال:

خالد: إذن، أنت المحقق الشهير (شريف هدهد)؟ هل أنت حقًا جديرٌ بهذه الثقة في حل تلك القضية؟

شريف: أي قضية تقصدها؟

لاحظ (سليم) نظرات (خالد) الحادة إلى (شريف)، ليتدخل (سليم) قبل إصابة رئيسه بأزمةٍ قلبية، ليبدأ الشرح ل(شريف) مرةً أخرى أنَّها قضيةٌ شائكةٌ قد تسبب أزمةً دبلوماسيةً؛ حيث أنَّ المتهمين أو الشهود من دولٍ مختلفة، كما أنَّ الأمن المصري يواجه مطالبةً من سفراء الدول سرعة استجوابهم، كما وضَّح أنَّه ليس من الحكمة توجيه أصابع الاتهام لأحدٍ دون دليلٍ قاطع، وفي نفس الوقت يجب إنهاء التحقيق قبل انتهاء اليوم من أجل إيجاد سببٍ لإبقائهم داخل البلاد، وإلا ستنتهي القضية بأزمةٍ كبيرةٍ وسمعةٍ سيئةٍ للدولة. بالإضافة إلى الإعلام المحلي والعالمي الذي سيعلن عن جريمةٍ داخل البلاد دون الوصول إلى دوافعها، أو أسبابها، أو حتى منفذها.

سليم: هل تتفهم الوضع يا صديقي؟

شريف: أتفهم الوضع.

راجح: إذن، ستساعدنا لإنقاذ هذا الوضع؟

انتظر الثلاثة سؤال رابعهم، لكنهم تفاجأوا من ابتعاد (شريف) عنهم ليصل (شريف) ببعض الخطوات نحو طاولة الاجتماعات؛ الأمر الذي زاد من ضربات قلب (راجح) وبعض التوتر لدى (سليم)، فظل (شريف) منتظرًا انتهاء التداول والمشاورات التي توقفت عندما بدأت الأعين تنظر إلى حامل الخنجر الذهبي، وارتقبت الآذان كلماته القادمة.

وما هي إلا لحظاتٌ حتى بدأ (شريف) في الحديث الخالي من أي دبلوماسية؛ حيث وضَّح أنَّ (النمرود) يحمل هُوية شخصٍ يحمل الجنسية المصرية، وبناءً على ذلك فالسلطات المصرية لها الحق في الاحتفاظ بجثمانه والتأكد من كافة الاعترافات والأقاويل التي سردها في البث الحي.

بدأت الابتسامات والضحكات الساخرة تنتشر بين الحاضرين، وبالأخص مندوب السفارة التركية الذي قاطع هذا الكلام الساذج، وتحدث نيابةً عن الجميع أنَّه على علمٍ بالإجراءات المتبعة من الدولة المصرية، ثم بدأت السخرية تشوب كلماته عندما وضَّح عدم اهتمامه بأي شخصٍ متواجد في هذا القصر أو هذه البلد إلا إن كان يحمل الجنسية التركية، وأعرب عن استيائه بسبب إضاعة وقته الثمين في اتهام أحد أبناء دولته، وتشككه في أجهزة الأمن التي قد تلصق الاتهام إلى مَن لا ذنب له.

رغم صمت الألسنة إلا أن الأعين الغاضبة كادت أن تلعن هذا المتعجرف، لكن العقل كان حاضرًا ليس خوفًا من هذا المغرور الذي

لا يدرك قيمة هذا الوطن العريق، إنما حرصًا على الأرض الغالية التي تحمله؛ لذا حرصت الألسنة على الصمت، إلا لسانًا واحدًا ليتقدم (محمد الديب) لسرد بعض المستجدات:

الديب: ما تم اكتشافه أيها السادة، أنَّ البث الحي كان من خلال قناةٍ على اليوتيوب، خاصة بأحد مشاهير السحر وخفة اليد، والذي يُسمى المقنع أو (ماسكيلي)، والذي لم يفصح عن هُويته طوال هذه السنوات؛ لظهوره مرتديًا القناع دائمًا، لكن المثير في الأمر أنَّه من المعروف أنَّ هذا المقنع من جنسيةٍ تركيةٍ، وشاءت الأقدار أنَّ أحد المتهمين هو السيد (كيفانش أكين) والذي يحمل الجنسية التركية؛ لذا فهو يعتبر أول المتهمين.

كيرال ألتان: هذا اتهامٌ غليظٌ بأدلةٍ واهية.

شريف: هل أتيت لأخذ (كيفانش)؟ أم لمعرفة ما اكتشفه النمرود؟

كيرال: ماذا تقصد؟

شريف: إن أخذت (كيفانش) في الحال هل تغادر المكان؟

كيرال: بالطبع لا، من حقي معرفة القاتل الحقيقي.

شريف: ليس من حقك.

كيرال: مَن تظن نفسك أيها الأحمق؟

في تلك اللحظة، يتقدم العميد (راجح) بضع خطواتٍ؛ ليؤيد كلام (شريف) حيث أنَّه غير مصرحٍ لأي شخصٍ معرفة سير التحقيقات إلا بعد موافقةٍ رسمية من السلطات، وتحديدًا من الشخص المسئول

عن هذا التحقيق، ثم أعاد (راجح) طرح سؤال (شريف) على جميع الضيوف الحاضرين، ولكن بشكلٍ أوضح فإن تم إصدار الأمر بإخلاء سبيل المتهمين على الفور؛ فهل سيغادر الجميع؟ أم سيظلون منتظرين؟

راجح: هل أتيتم من أجل أبناء أوطانكم؟ أم في صدوركم شيءٌ ضد وطني؟

ظهرت الريبة في قلب (راجح)، وأدرك صحة استنتاج (شريف)، وما أكَّد الأمر تلك الإجابات المتطايرة من أفواه الحاضرين الغاضبة منهم، والكاذبة، أو حتى الألسن الصامتة؛ الأمر الذي رسَّخ اليقين في قلب سيادة العميد، وتأكَّد أنَّ هذا الحضور هو أشد فتكًا من مجرد طقوسٍ في قاع البئر، وجريمة قتلٍ غامضة.

يبتسم (خالد) عائدًا إلى رأس الطاولة مرةً أخرى متحدثًا إلى جميع الحاضرين، ليقدم المسئول الأول عن التحقيق في قضية (النمرود) ألا وهو العميد (راجح)، الذي بدوره يبدأ التحدث للجميع، طالبًا منهم التزام الهدوء والمساعدة إن لزم الأمر، وعدم مغادرة القاعة، ليختم كلماته بتحذيرٍ قوي بشكلٍ مهذبٍ للجميع بعدم التدخل بشكلٍ نهائي في سير التحقيق، وعدم مغادرة هذه القاعة على الإطلاق بدون أمرٍ مباشرٍ من (راجح) نفسه.

بعد حالة الصمت التي سادت القاعة، تأكَّد (خالد) بأنَّه تمت الموافقة على قرارات (راجح) وعدم الاعتراض عليها، ليعلن (خالد) بأنَّه لا حاجة لتواجده في هذا المكان، لينصرف متوجهًا نحو باب

القاعة، لتفتح الأبواب لسيادة اللواء ومن خلفه (راجح) و(سليم)، ليحيط الحرس بسيادة اللواء ومَن معه أثناء خروجه.

راجح: هل سترحل حقًا يا سيدي؟

خالد: لن تحل الشئون الداخلية والخارجية للبلاد أثناء تواجدي هنا، لكن قبل الذهاب أريد إخبارك شيئًا يا صديقي، أنا لا أثق في (شريف)، أنصح بالاستغناء عنه بعد هذه القضية، إنَّه يخفي أسرارًا أكثر من الحاضرين.

بمجرد خروج اللواء (خالد) أُغلقت الأبواب مرةً أخرى، وعادت الأحاديث الجانبية ومن بينها الحوار الجانبي الذي بدأ بين الصديقين (الديب) و(سليم)؛ حيث صرَّح الديب أنَّ (سليم) من المرشحين للعمل في البوليس الدولي في حالة حل هذه القضية، لكن سرعان ما يقترب (راجح) منهما، والذي قد قرر التحقيق مع المتهمين الأربعة في نفس ذات الوقت على أن يتولى كل فردٍ التحقيق مع متهمٍ، ومعرفة سبب تواجدهم في البئر وعلاقتهم بالنمرود، لتنقطع قرارات (راجح) فجأة.

شريف: ثلاثة فقط.

راجح: ماذا تقصد؟

شريف: المتهمون ثلاثة وليسوا أربعة.

سليم: هل تقصد الفتى الأشقر الذي وصل إلى البئر متأخرًا؟

الديب: يُدعَى عبد المنان أحمد عبد القادر، سوري الجنسية وي...

شريف: أقصد ناصر عبد الدايم.

راجح: الأشيب؟ لماذا؟

شريف: سبب وفاة النمرود اختراق إبرةٍ معدنيةٍ لعظمة أطلس أول فقرةٍ عنقية، قاذف هذه الإبرة محترف، وعلى درايةٍ بأجزاء الجسم، ثابت اليدين. رأيت (ناصر عبد الدايم) أثناء صعوده على درج السلم، (ناصر) يعاني رجفة اليدين، في الغالب بسبب تناول أدويةٍ تحتوي على مادة الدوبامين الذي يستخدم في حالة انخفاضٍ حادٍ في ضغط الدم، النوبات القلبية، الفشل الكلوي.

سليم: حسنًا، فهمت، إذن لن يتم التحقيق مع (ناصر).

شريف: يجب أن أحقق مع (ناصر عبد الدايم).

راجح: أنت مَن قلت أنَّ مِن المستحيل أن يكون القاتل.

شريف: (ناصر) يعلم سبب دخول النمرود إلى البئر.

********** **********

تل اللحم:

تفرَّق المتهمون الأربعة في أماكن مختلفةٍ بالقصر، اثنان منهم بالقاعات الصغرى المجاورة لقاعة العرش، أما من تبقى فتواجد بالغرف العلوية.

لكن قبل بدء التحقيقات، جلس المحققون لمعرفة كافة المعلومات الدولية المتاحة عن الأربعة، فلم يملك (الديب) الكثير؛ حيث لا يملك البوليس الدولي سوى المعلومات عن المطلوبين دوليًّا ومن يحيط بهم من المدنيين. وطبقًا للمعلومات المتعلقة بالنمرود التي أصبحت قديمةً باختفائه التام وتوقفه عن النشاطات غير الشرعية، توضح عدم وجود حلقة وصلٍ بين النمرود والمتهمين سوى شخصٍ واحد فقط.

محمد الديب: من المعروف أن الدكتور (ناصر عبد الدايم) ليس له أي نشاطاتٍ إجرامية أو حتى سياسية؛ فهو مؤرخ ومفكر معروف في الوطن العربي، لكن العقبة الوحيدة هي أخوه، الشيخ (جابر عبد الدايم) الذي تم القبض عليه منذ عشر سنواتٍ في مدينة تونس بتهمة التنقيب عن الآثار، والتي كان النمرود متهمًا رئيسًا في تلك القضية؛ فهو من شيوخ الرصد كما يزعم، وأثناء التحقيق معه اعترف بتعاونه عدة مراتٍ مع النمرود.

رغم السمعة الطيبة والتاريخ الخالي من الجرائم إلا أن دائرة الاتهام أصبحت تستهدف (ناصر عبد الدايم)، فطبقًا للوقائع والأحداث بدءًا من علاقة النمرود بشقيق (ناصر)، حتى تواجده

في البئر قبل أن يلتقط النمرود أنفاسه الأخيرة، فإنَّها تشير إلى أنَّها جريمة انتقام.

لم يخلُ النقاش من الافتراضيات، خاصةً بعد عرض ما تبقى من معلوماتٍ عن المتهمين الثلاث فإن ما يخصهم خالٍ من أي تفاصيل؛ حيث قام البوليس الدولي بالتقصي عنهم ولم يجد الكثير عن سيرتهم الذاتية، بدءًا من التركي (كيفانش أكين) فلا يوجد أية معلوماتٍ تخصه سوى طفولته التي قضاها في إحدى الملاجئ، ثم اختفى في سن الثانية عشرة، وإن كانت افتراضية (الديب) صحيحة والتي تشير إلى أن (كيفانش) هو الساحر المقنع الذي ظهر على الساحة منذ سنواتٍ قليلة، فهذا يدل على أن (كيفانش) قد اختفى عن الحياة تمامًا لخمس سنواتٍ، الأمر الذي يجعله في بؤرة الاتهام.

زادت الأمور غموضًا عندما عرض (الديب) المعلومات التي توصل إليها البوليس الدولي بشأن الراهب (كاو- يو)، الذي عاش بمعبد شاولين لأكثر من خمسة عشر عامًا، لكن لم يتم التوصل حتى وقتنا هذا عن سنواته التي سبقت حياة الرهبانية، وطبقًا للبيانات الشخصية بجواز السفر خاصته تم رصد أكثر من مليوني شخصٍ على قيد الحياة في الصين حاملين لهذا الاسم.

كما أوضح (الديب) أنَّه من المتعارف عليه أنَّ معبد (شاولين) له الحماية من الجهات العليا لدولتهم، كما أنَّ لهم بعض الحقوق غير المعروفة للعامة مثل مساعدة الرهبان لترك حياتهم الدنيونية، وخلق هُوية جديدة وحياة جديدة.

راجح: هل تظن أنَّ ماضي الراهب له شيءٌ في حياة النمرود؟

سليم: ليس مجرد ظنٍ يا سيدي، بل إنَّه اليقين حتى يثبت العكس.

شريف: اختراق الأجسام الصلبة باستخدام الإبر من مسافاتٍ بعيدة من تدريبات معبد (شاولين).

راجح: ها قد وجدنا المتهم الأول.

الديب: تمهل يا سيد (راجح)، ما زال يوجد بعض ما تريد سماعه عن (عبد المنان أحمد عبد القادر).

حيث أوضح (الديب) أنَّ الطبيب السوري الأشقر قد هاجر من وطنه سوريا بعد الحرب التي قضت على أسرته، وهُويته، وكل ما يملك، وأقام في مصر منذ عدة سنواتٍ، وأنشأ مركزًا لعلاج آلام الجسم المزمنة (pain clinic) في الإسكندرية.

والأمر الذي قد أثار انتباه (الديب) أثناء مشاهدته للبث الحي أنَّ النمرود عاش في أبي قير بالإسكندرية باسم (شافعي الغريب)، وطبقًا للمعلومات المتوافرة أنَّ (عبد المنان) من قاطني منطقة أبي قير، وتواجده في البئر دليلٌ على علاقته بالنمرود.

سليم: لكنه ليس بالقاتل؛ فقد وصلت إلى النمرود بينما كان ملقى على الدَّرج يبكي.

راجح: ربما كان شريكًا في القتل، أو ربما على علاقةٍ بالنمرود.

شريف: ربما الأربعة شركاء في قتل النمرود.

راجح: قد أندم على هذا الأمر، لكنني أؤيد كلام (شريف) فلا يوجد أي استبعادٍ لأي متهمٍ حتى الوصول إلى الهدف بالدليل القاطع.

شريف: أريد تحليل دمٍ للنمرود.

رغم مقاطعة (راجح) إلا أنَّ (سليم) فضَّل الإجابة سريعًا على صديقه، بأنَّه قد تم بالفعل سحب عينة دمٍ من الضحية، والبدء في تحليلها في المعمل لكن الأمر قد يتطلب أكثر من ست ساعاتٍ، لكن لم تنتهِ طلبات (شريف) الذي أصر على ماكينة طباعة ورقٍ عالية الجودة دون سببٍ واضح، الأمر الذي دفع (راجح) للصياح في وجه أحد الحراس لتلبية طلب (شريف) لمجرد الانتهاء من ثرثرته.

وعندما نجح الأمر، بدأ (راجح) في توزيع المهام عليهم؛ حيث تولى (راجح) التحقيق مع الراهب، بينما أصر (سليم) على التحقيق مع (كيفانش)، أما (الديب) فلم يمانع في معرفة علاقة (عبد المنان) بالنمرود، وبالنهاية لم يتبقَ سوى (ناصر) الذي كان من نصيب (شريف) الذي أصر على الدخول إلى التحقيق بذلك الخنجر الذهبي؛ فوافق (راجح) على أي طلبٍ لمجرد التخلص من رؤية (شريف) لبعض الوقت.

لينطلق كلٌّ منهم على حدة إلى الهدف المخصص له، على أن يجتمعوا مجددًا للتشاور وعرض ما توصلوا إليه.

حينما انقض (سليم) بوابل من الأسئلة في وجه (كيفانش)، جلس (راجح) في صمتٍ أمام (كاو- يو) الذي ظل ممارسًا للتأمل في صمتٍ وهدوءٍ، وفي تلك اللحظة يجلس (شريف) بوجهٍ مبتسمٍ أمام

المؤرخ (ناصر عبد الدايم) صاحب أبرز الكتب والمؤلفات، ومن أهمها (التاريخ بين الواقع والأساطير) الذي تفاجأ من السؤال المطروح عليه من قبل (شريف)؛ فلم يخطر في باله مثل هذا السؤال وعلاقته بجريمة القتل؛ مما جعله يشك في الأمر ليطلب إعادة السؤال مرةً أخرى.

شريف: مَن الصادق؟ ابن خلكان أم ابن مماتي؟

ناصر: لا مقارنة بين الاثنين، هذا مؤرخ وكاتب، وذاك مؤلف ساخر.

شريف: لا أتحدث عن الألقاب، بل أتحدث عما سرداه عن (قراقوش)، لقد قرأت مؤلفاتك ذكرت في السطر الأخير فيما يخص (بهاء الدين قراقوش) أنَّه من الممكن أن يكون كليهما.

ناصر: إنَّه "علم ربما"؟ وما أقصده، أنَّه ربما أن يكون السلطان العظيم الذي شيَّد تلك القلعة العظيمة وغيرها من العلامات التي ظلت شامخةً حتى يومنا هذا، وفي نفس الوقت من الممكن أن يكون هذا الظالم المجنون الذي تم ذكره في كتاب (الفاشوش في حكم قراقوش).

شريف: لا يوجد دليل على ذلك.

ناصر: لذلك أطلقت علم ربما؛ أي الاحتمالية لأنَّ التاريخ لم يتبقَ منه سوى صفحاتٍ كتبها الإنسان الخطَّاء. بالتأكيد بعض المؤرخين قد قاموا بتدوين ما رأته الأعين بكل صدقٍ، والبعض كتب ما يشير إلى العظمة، والبعض يكتب من أجل إرضاء الملك والسلطان وتمجيد وطنه، والبعض لا يعلم ما يدور داخل عقول الأبطال ونواياهم.

وخير دليلٍ أنَّ الحضارة الفرعونية لم تذكر سوى انتصاراتها وتقدمها، ولم تذكر شيئًا عن الهزيمة في أي معركةٍ؛ لذلك كل صفحةٍ في التاريخ هي ربما...

تجولت عينا (شريف) في أرجاء الغرفة المزخرفة بالفن العثماني حتى استقرت للحظاتٍ على وجه (ناصر)؛ فابتسم شوقًا لسماع المزيد، لتنتهي اللحظات ويخرج من حقيبته الخنجر الذهبي الذي أذهب عقل (ناصر)؛ فطلب تفقده دون لمسه، وهام العقل أمام الذهب العتيق ذي النقوش السومرية والرموز المنحوتة على المقبض المرصع بالأحجار الكريمة، والذي ينتهي برمزٍ غامضٍ يبدو مثل الشمس أو النجم.

شريف: إنها زهرة المِيمُوزا.

ناصر: لكن لم يذكر التاريخ الكلداني أو الآشوري تلك الزهرة، إنما هي أسطورةٌ إغريقيةٌ عن الآلهة التي قامت بتحويل إحدى الجميلات التي كانت تهرب ممن يطاردها إلى زهرة المي...

شريف: زهرة المِيمُوزا تنكمش وتغلق غصونها، وفي بعض الأحيان تختفي كلما اقترب منها أي كائن. أعلم هذه الأسطورة، ما علاقة النمرود بأودين؟

أدرك (ناصر) سبب السؤال، ومحاولة معرفة سبب الطقوس التي قام بها (سامي النمرود) باقتلاع عينه داخل البئر، والذي يماثل الأسطورة النوردية عندما جاء الملك (الأودين) إلى الحكيم (ميمير) مدرك المعرفة وحارس الذكريات؛ حيث اقتلع (أويدن) عينه من أجل

رشفةٍ من بئر (ميمير) لمعرفة أسرار الكون.

على الرغم من نظريات (شريف) عما قرأه عن الديانة الزويستية في أيسلندا، والتي زعمت أنَّ نظام الزويستية المستحدث مبنيٌّ على الآلهة السومرية، إلا أنَّها كانت نظريةً ضعيفة بعض الشيء؛ فأخذ (ناصر) لحظاتٍ من الصمت ليجوب داخل عقله محاولًا البحث عن إجابة (شريف) واكتشاف العلاقة بين الأساطير البابلية والنوردية، لكن لم يجد سوى شيءٍ واحدٍ فقط.

ناصر: شجرة العوالم التسعة وشجرة الحياة البابلية.

لم يجد (شريف) التشابه بين (إغدراسيل) التي كانت مركز العوالم التسعة في الأساطير النوردية وشجرة الحياة في بابل، وأيَّده (ناصر) في الأمر حتى وجد بعض الاحتماليات التي قد تؤيد التشابه، ومن أهمها استخدام الكبالا لشجرة الحياة في معتقداتهم وتفصيلها إلى تسع نقاطٍ، تنتهي بالنقطة العاشرة ألا وهي النور السرمدي.

شريف: خرافات.

ناصر: أتفق معك، لكن تذكَّر أنَّ الناس كانت تعبد آلهةً أسطوريةً على مر الزمان، وكانت الشعوب والبلدان تتقاتل من أجل خرافات.

شريف: ما هي حفريات الشيطان؟ ما هو كيان الشيطان؟

ناصر: مجرد سطورٍ في صفحات التاريخ لا دليل لها، مجرد خرافات.

شريف: كانت الشعوب والبلدان تتقاتل من أجل خرافاتٍ.

ضحك (ناصر) رغم شعوره بشيءٍ من الحرج، لكنه لم يجد مَن يشاركه الضحكات، إنما وجد مَن يسأله بإلحاحٍ على سرد الرواية التي بدأت قبل خلق البشرية أجمعين.

ناصر: وَرَدَ في القرآن الكريم: أنَّ (إبليس) مخلوقٌ من النار الذي عاش مع الملائكة المخلوقين من النور، وقد بلغ (إبليس) مكانةً من العلم ووصل للدرجات العلى.

ورغم جميع الكتب والمراجع التي تصف أنواع الجن المختلفة سواء كان الضوئي، أو القمري، أو الناري، حتى المائي وغيرهم، ورغم قواهم المختلفة ودياناتهم، لكن لا يوجد مخلوقٌ يعلم حجم العلم والقوى لدى (إبليس)، لا يعلم إلا الخالق.

انتقل (ناصر) سريعًا إلى الكلدانيين، الذين اشتهروا بعلوم الكواكب والنجوم، وبعض العلوم التي تم ذكرها في السجلات القديمة ل(أرسطو) الذي وضّح طقوس السحر الكلدانية، كما ذكر بعض المؤرخين قوة إقناع الكهنة الكلدانيين للعامة، وعن علاقة حركة الكواكب وتحكمها في السلوك الإنساني، كما أوضحت بعض الدراسات للفلسفة الكلدانية عن العلاقة الثلاثية المتداخلة بين الإله، والطبيعة، والإنسان.

يعود (ناصر) سريعًا إلى عصر الملك النمرود أول مَن ادَّعى الألوهية، والذي روت عنه بعض الكتب والمؤرخات بأنَّه هو الإله مردوخ نفسه، كما أسردت بعض الروايات والكتب مثل الشاهمانة وغيرها قصة هبوط (إبليس) على الأرض؛ ليعلم النمرود علم السحر

الذي قتل والده من أجل هذا العلم.

شريف: أعلم كل ما سبق.

ناصر: لكنك لا تعلم التالي.

روى (ناصر) روايته على (شريف)؛ حيث ذهب في منتصف الثمانينات إلى منطقة تل اللحم على طريق الناصرية؛ لإتمام إحدى الأبحاث التي تروي علاقة التاريخ بالخرافة، وكانت من إحدى المناطق المدروسة هي تل اللحم والتي سُميت بهذا الاسم بسبب كثرة القتلى نتيجة عدة معارك قبلية سابقة لأسبابٍ متعددةٍ؛ لذلك تواردت الأحاديث والروايات بين القبائل والعشائر على مر الزمان دون كتابتها، حتى لا تتفشى الفتنة بين سائر العباد، ليروي (ناصر) رحلته وسؤاله لحكماء القبائل التي روت الأحاديث المتوارثة عن أجداد الأجداد ألا وهي حفريات الشيطان؛ حيث قيل أنَّ (إبليس) قد فصَّل من جسده بعضًا من قواه، وأنزلها على الأرض في كياناتٍ مادية متعددة، وفرَّقها على بني آدم في مختلف بقاع الأرض على مر الأزمنة.

وقيل في بعض الروايات: أنَّ الكيانات الشيطانية أخذها النمرود وحده؛ فحكم الأرض دون منازعٍ، وعندما مات النمرود بأمر الله تفرَّقت الكيانات الشيطانية في بقاع الأرض، ولكن روى بعض الحكماء أنَّ النمرود أخذ أقوى القوى وأخفى الباقي في بطون الأرض.

شريف: لا دليل على صحة الرواية.

ناصر: أخبرتك من قبل أنَّ كل شيءٍ قابل لكلمة ربما، لكن ما رواه حكماء القبائل جعلني أشعر بصحة القول، خاصةً بعد أن سمعت عن رواية أقوى القوى.

شريف: ما هي أقوى القوى؟

ناصر: الغواية.

أقسم الشيطان بعزة وجلالة الله سبحانه وتعالى على غواية الإنسان للبعد عن عبادة الله عزَّ وجلَّ، والغواية هي اتباع الشهوات والضلال والبعد عن الحق. وكانت الأولى هي غواية آدم عليه السلام بشجرة الخلود والملك، والغواية هي القوة الأولى التي يستخدمها الشيطان لإبعاد الإنسان عن طاعة خالقه، والتي تتمثل في الشهوات ومتاع الدنيا.

استكمل (ناصر) في سرده عن رواية الحكماء عما قاله الأجداد: أنَّ (إبليس) جعل الغواية كيانًا ماديًا، وأعطاه إلى النمرود مدعي الألوهية وسحر الناس بالغواية فآمن الناس بإلوهيته، ثم أخذت كهنة بابل بدراسة الكيانات الشيطانية وسردها في المخطوطات خاصتها وقد طمرها الزمن؛ لذلك سُميت بحفريات الشيطان. وبعد فناء النمرود بأمر الله تولت بعض القبائل والعشائر في بقاع الأرض بإخفاء كيانات الشيطان إلى يومنا هذا.

شريف: إذًا، كان (سامي النمرود) يبحث عن كيان الشيطان؟

ناصر: أجد هذا من المستحيل؛ فلا يوجد أي علاقةٍ مكانيةٍ أو زمانيةٍ بين الملك النمرود وقلعة الجبل.

شریف: سنری، یا (باروم).

********** ********** **********

جولةٌ فنيةٌ:

عاد المحققون الأربعة إلى نقطة البداية من جديدٍ لمعرفة المستجدات، لكن لم تكن النتيجة المرجوة؛ حيث لم يظفر (راجح) بأي إجابةٍ من الراهب الذي قد بدأ في جلسة التأمل في سكينةٍ وصمتٍ تامٍ دون التأثر بأي شيءٍ من العالم المحيط به، وكان المثل بالنسبة ل(الديب) الذي لم يجد من (عبد المنان) سوى البكاء والنحيب دون التوصل إلى علاقاته بالنمرود؛ مما أخل الغضب في نفس العميد (راجح) والذي كاد أن تدركه الأزمة القلبية عندما سمع ما توصل إليه (شريف) الذي لم يسأل عن علاقة (ناصر) ب (سامي النمرود) وسبب تواجده في البشر، لكن سرعان ما يتدخل الصديق لتقديم ما توصل إليه من معلوماتٍ تخص (كيفانش) الذي اعترف بعلاقاته ب(النمرود) وسبب تواجده في البئر.

راجح: هل هو الساحر المقنع؟

سليم: هذا أول اعترافٍ له من البداية.

بدأت رواية (كيفانش) منذ ستة أشهر، عندما تلقَّى رسائل من رجل أعمالٍ مصري يُدعى (شافعي الغريب) الذي يريد أن يكون الراعي الرسمي للمقنع، وإقامة جولة فنية في أوروبا والشرق الأوسط لمدة ستة أشهر، مقابل صكٍ مصرفي بقيمة ثلاثة ملايين دولار، والذي يعتبر مبلغًا طائلًا بالنسبة للساحر المقنع الذي لم تكن له الشعبية الكافية في السابق.

بدا الأمر مريبًا بعض الشيء ل(كيفانش) خاصةً أنَّه لم يجرِ

أي مقابلةٍ شخصيةٍ مع المدعو (شافعي الغريب) حتى من خلال الاتصالات السمعية، والبصرية، والمراسلات عبر الإنترنت حيث كان هناك عدة وسطاء للمعاملات القانونية والفنية، وجميعهم تحت إمرة وسيطٍ أكبر، لكن إغراء الشهرة والمال جعل الساحر يتغاضى عن شكوكه خاصةً بعد حصوله على الصك المصرفي الأول بقيمة نصف مليون دولار قبل توقيع العقد الذي بدت سلامته القانونية؛ لذلك بدأت الجولات الفنية في كبرى المسارح باليونان وإيطاليا وغيرهما من دول أوروبا، ومن ثَمَّ تم الوصول إلى دول الشرق الأوسط بدايةً من تونس، والمغرب، ودبي حتى انتهت الجولة في مصر.

في اللحظة التي وطأت أقدام الساحر إلى أرض النيل، استقبله الوسيط في المطار، وأقلَّه إلى محل إقامته بإحدى الفنادق القريبة من المطار، ولم تمر ليلةٌ واحدةٌ على إقامته حتى وجد مَن يرجو زيارته داخل جناحه في الفندق، الأمر الذي أثار فضوله بعد تلك الفترة؛ حيث لم يخطر بعقله أنَّه سيقابل (شافعي الغريب) وجهًا لوجه في نهاية الأمر.

كان اللقاء غير عادي؛ حيث لم تكن جلسة سمرٍ وترحابٍ، إنما كان لقاءً من أجل إتمام الاتفاق فأخرج (شافعي) من جيبه صكًا مصرفيًا بقيمة المبلغ المتبقي لقاء الجولة الفنية، والذي بدا مريبًا لدى الساحر خاصةً بعد أن علم أنَّه قد تم إلغاء العرض الفني بمصر، لكن ما زاد الريبة خوفًا عندما أخرج (شافعي) صكًا آخر من جيبه بقيمة نصف مليون دولار في مقابل ساعة من البث الحي على القناة الرسمية الخاصة بالساحر المقنع؛ الأمر الذي جعل الابتسامات تتلاشى

والكلمات تختفي لدى الطرفين، لكن المال له الكلمة الأخيرة فتم عقد الاتفاق بينهما.

في صباح اليوم التالي، حضرت سيارةٌ خاصة لتقل الساحر إلى جولةٍ سياحيةٍ داخل أسوار قلعة صلاح الدين الأيوبي، وبمجرد عبور الساحر إلى بوابة الجبل كان (شافعي) والوسيط في انتظاره، وتمت عملية تبادل الصك المصرفي مقابل الهاتف المخصص للبث الحي لقناة الساحر المقنع الرسمية.

أمر (شافعي) مساعده بمرافقة الساحر في جولةٍ سياحيةٍ داخل أسوار العاصمة القديمة لحين انتهاء الوقت، آمرًا إياه بطاعة الساحر فيما يشتهيه.

وعند تفرق الطرفين وبدء الجولة السياحية، أخرج الساحر هاتفه الشخصي لمتابعة البث الحي الذي بدا مخيفًا منذ الدقائق الأولى، لكن سرعان ما عاد إلى الطمأنينة عندما لامست أصابعه الصك المصرفي، لكن ليس لفترةٍ طويلة حيث بدأ البث يحوي بعضًا من المعلومات الخطيرة، وفرك القلق بين أصابعه والمال. وما هي إلا لحظاتٌ حتى تلقَّى الوسيط أمرًا من الساحر للعودة إلى بقعة البث، ونفَّذ الوسيط الأمر وتحركت الأقدام، لكن الأعين ما زالت تشاهد البث، لكن بدأت الخطى في الإسراع عندما أخرج النمرود خنجره الذهبي.

في اللحظة التي وصل إليها الساحر والوسيط إلى باب البئر، انبثقت الصرخات من قاعه، وقد رأى الساحر غريبيْن بالقرب من

البئر؛ فعاد (كيفانش) لمشاهدة البث مرةً أخرى ليجد أبشع ما رأته عيناه عندما اقتلع النمرود عينه؛ فبدأ الأربعة برحلة الهبوط إلى القاع، لكن الدرجات الصخرية المهترئة أبطأت من سرعة الوصول.

بعد عدة دقائق، انتهت رحلة الدَّرج ووصل ثلاثة إلى قاع البئر؛ فنظر الساحر مذعورًا إلى النمرود الملقى على الأرض بوجهٍ يملؤه الدماء، وعنقٍ تخرج منه بعض الدماء؛ فبدأ الراهب والعجوز في إنعاشه.

أما الساحر، فقد ظل متجمدًا ذعرًا مما يراه خاصةً بعد أن سمع بعض الخطى التي تهبط على درج البئر؛ فزاد الذعر رعبًا وأدرك الساحر بأنَّه شريكٌ في هذا البث البشع؛ لذلك لم يجد العقل المذعور سوى التخلص من هاتف البث وتحطيمه، ثم إلقائه في إحدى الفجوات القديمة المنتشرة في قاع البئر.

راجح: إذن، الوسيط هو (عبد المنان)؟

سليم: هذا ما قاله الساحر.

شريف: (كاشفو).

راجح: ماذا؟

شريف: (كيفانش) يكذب.

انتظر الثلاثة طويلًا في انتظار الأدلة على ما ذكره (شريف) الذي اكتفى بالصمت محدقًا في هاتفه دون إجابةٍ منتظرة، ليستكمل الثلاثة حوارهم من جديد؛ فيأمر (راجح) كلًا من (سليم) و(الديب)

للتحقيق مع (عبد المنان) والتأكد من صحة قول الساحر، لينفذا أمر العميد الذي أصدر الأمر المباشر إلى (شريف) بعدم التحدث إلى أي شخصٍ دون إذنٍ، وعلى الرغم من يقين (راجح) أنَّ هذا الشاب لم يستمع لما أُمِر به إلا أنَّه اكتفى بالوقت الضائع منه ليعود مرةً أخرى إلى الراهب، تاركين (شريف) بالممر في وحدته التي لم يشعر بها أثناء تفقده صفحات الانستغرام.

لم ينتهِ التأمل رغم موجات الغضب التي أطلقها سيادة العميد في وجه الراهب الساكن في مقعده، حتى وسوس له الغضب أن يستخدم بعض العنف أثناء التحقيق، لكن فضَّل (راجح) الصراخ لبعض الوقت لكن لم يستمر الأمر طويلًا؛ حيث توقف الغضب وبدأ الألم عندما اقتحم (شريف) هذا التحقيق بخطواته الهادئة، وعينيه السابحة، ووجهه الباسم الذي يسبب الغيظ للبعض.

عمَّ الصمت لعدة دقائق ليسكن الملل صدر (راجح) الذي ملأ رئتيه بدخان سيجارته؛ عسى أن تكون ملاذًا له، فجلس بعيدًا متأملًا ذلك الراهب المغمض العينين، ذا الرداء البرتقالي الكاسي لجسده عدا جزءٍ بسيطٍ من صدره، واضعًا أصابعه العشرة المشبكة على ساقيه ملتزمًا السكينة.

وعلى الجانب الآخر، يجلس (شريف) في نفس السكينة والهدوء عدا عينيه اللتين أخذتا تنقبان عن أسرار الراهب.

بعد فترةٍ وجيزةٍ، امتلأت الرئتان دون جدوى، ولم يجد (راجح) أمامه سوى الحل الأخير رغم صعوبته فيقترب (راجح) من المسبب

لأزماته القلبية.

راجح: هل يمكن أن تجعله يتحدث إلينا؟

شريف: الأشيبو.

راجح: هلّا توقفت عن الطلاسم وتتحدث بالعربية.

شريف: أخبرتني ألا أتحدث إلى أحد.

راجح: ها أنا أخبرك بالتحدث.

شريف: أنت تريد مساعدتي؟

راجح: قد أندم على هذا الأمر. نعم، أريد مساعدتك.

يبتسم (شريف) إلى (راجح) الذي ازداد غيظه أكثر، ليخرج من جيبه بعض الحبوب المهدئة لإنقاذ قلبه من هذا الشاب، لكن سرعان ما تعود عينا (شريف) إلى الراهب للتأكد مما توصل إليه (شريف)، وما هي إلا لحظاتٌ حتى بدأت العينان تتجولان كعادتهما في أرجاء المكان.

شريف: نو أري تاكا وا تسيمي وه كاكيسو.

ينتهي التأمل وتفتح الأعين، لينظر الراهب إلى هذا الشاب في بعضٍ من التعجب الذي أخفاه سريعًا، الأمر الذي أدخل بعضًا من الأمل إلى قلب (راجح) ليجلس بجانب (شريف) هامسًا في أذنه عن معنى الكلمات التي أيقظت الراهب، لكن لم يحصل العميد على إجابةٍ كالمعتاد، إنما حصل على بعض الكلمات غير المفهومة لكنها كان لها

صدى في نفس الراهب. وكان أكثر الكلمات قوةً هي (يوبي تسومئ) والتي جعلت الراهب يضع يده اليمنى على اليسرى لحمايتها، الأمر الذي أثار حيرة (راجح) مما زاد من غضبه ليأمر (شريف) بالتوضيح على الفور.

شريف: (يوبي تسومئ) كلمة يابانية تُسمى قطع الإصبع، من العادات المرسخة لدى (الياكوزا) اليابانية، يقوم أعضاء المافيا اليابانية بقطع إصبعه في حالة ارتكابه خطأ في حق الياكوزا طبقًا للتقاليد القديمة يتم اختيار الخنصر حتى تقوى اليد في استخدام السيف مجددًا.

راجح: هل هذا حقًا؟

شريف: أنت في الستين من عمرك، أنت في معبد (شاولين) منذ سن الثانية والأربعين، أعتقد أنَّك تركت الياكوزا في عمر الثلاثين، لم تكن كبيرًا لتصبح (أويابو) أنت (كيوداي).

عادت صرخات (راجح) من جديدٍ لكن هذه المرة بسبب الطلاسم المسموعة؛ حيث شعر أنَّه لا يملك زمام الأمور، الأمر الذي دفعه لإصدار الأمر مجددًا إلى (شريف) في التزام الصمت، وفي حالة التحدث مجددًا يجب على (شريف) التوضيح ليضع (شريف) سماعات الأذن حتى تنتهي الصرخات المزعجة، ثم يبدأ في تفقد بعض الكتب على هاتفه ويعود الصمت من جديدٍ في أرجاء الغرفة لدقيقتين.

نهض الراهب من على مقعده في هدوءٍ وسعادةٍ بعد إزالة السر من

داخل صدره، ليخلع الوشاح المغطي للجزء الأعلى من جسده ليتفاجأ الجالسون بالوشم الضخم الذي يغطي صدره، الذي يوجد به آثار عيارٍ ناري قديم، ليقترب (شريف) بعينيه اللتيْن تظهر عليهما علامات الإعجاب بوشم التنين والنمر والزهور المحاطة بهما.

الراهب: (نو أري تاكا وا تسيمي وه كاكيسو) حكمة يابانية تعني (الصقر الخبير بخفي مخالبه). أما (أويابو) هو زعيم العشيرة و(كيوداي) هي الأخوة الكبار، أما المساعد الثاني هو (شاتاجيرا).

عادت السعادة إلى (راجح) وأزال (شريف) سماعات الأذن مستمعًا إلى ما قاله الراهب من شرحٍ لل(ياكوزا)، ووضَّح استياءه لذكر كلمة مافيا على الياكوزا؛ حيث زعم أنَّها عشيرةٌ لتطبيق القانون.

راجح: أنت (شوياكو) الذي ذكره النمرود.

الراهب: لا وجود لهذا الاسم؛ (شوياكو) مات؛ قتله النمرود.

شريف: أنت لم تتخلص من وشم الياكوزا.

الراهب: هذا الوشم يذكرني دائمًا بأخطاء الماضي.

راجح: إذن، من الأفضل الاعتراف بخطئك الآن قبل إنهاء حياتك.

الراهب: سيدي، إذا بدأت الاعتراف بأخطائي سأحتاج سنواتٍ حتى أنتهي.

راجح: إذن، لتخبرني عن مَن أطلق النار على صدرك وسبَّب تلك العلامة؟

الراهب: أحد قطاع الطرق أثناء رحلتي إلى شاولين، هل تملك دليلًا غير قولي؟

زالت علامات السكينة والسلام واتكأ الراهب إلى الخلف، وعاد الخبث إلى وجهه المصاحب لابتسامةٍ ساخرةٍ مؤكدًا أنَّ لا وجود لهذا الاسم، كما أنَّه لا يتذكر حياة (شوياكو)، إنما يتذكر رحلة (كاو-يو) الشاقة من حدود منغوليا إلى سفح جبل شاوشي للانضمام إلى رهبان شاولين.

فيتحدث الراهب ساخرًا أنَّه قد قابل المدعو (شوياكو) أثناء تلك الرحلة، لكن الزمن أضاع بعض الذكريات.

أدرك (راجح) اعتراف (شوياكو) غير المباشر بقتله أحد الرهبان وانتحال شخصيته، الأمر الذي رسَّخ اليقين في صدره بأنَّ الراهب هو القاتل، لكن لا يملك الدلائل على إدانته حتى الآن.

شريف: الوخز بالإبر من تعاليم (شاولين).

يبتسم (كاو- يو) كعادته ناظرًا إلى (شريف) ليلقبه ب(الأرجوس) القادم من الميثولوجيا الإغريقية ذي المائة عين، ثم تتوجه كلمات المعلم إلى (راجح) ناصحًا إياه بالحذر مما يراه هذا الكائن؛ فقد ينتهي الأمر بموته وموت كل مَن يحيط به.

لم تكن تهديدًا لكنها كانت نصيحةً مخيفةً لمست قلب (راجح) بعض الشيء، لكنها لم تخترق حصن (شريف) المنيع ضد أي مشاعر، ليطلب من (كاو- يو) الإجابة على أسئلته بشكلٍ واضحٍ وعلمي بعيدًا عن أي أساطير أو خرافاتٍ.

الراهب: نحن نستعين بالإبر لعلاج الجسد البشري.

شريف: اختراق الأجسام الصلبة باستخدام الإبر من مسافاتٍ بعيدةٍ من تدريبات معبد (شاولين).

الراهب: أخبرتك أنّي لست بقاتل، ولا أملك الدافع لقتل (النمرود) إلا إن كنت هذا ال(شوياكو).

راجح: لا أملك دليلًا على اسمك الحقيقي، لكنك اعترفت أنَّك من الياكوزا وهذا كافٍ لإدانتك.

الراهب: لكني لم أخبرك أنّي من الياكوزا، ما بجسدي مجرد وشمٍ لا أكثر، وما قلته عن العشيرة مجرد معلوماتٍ على صفحات الإنترنت.

استمر صراع الألسنة طويلًا بين الراهب والعميد دون الوصول إلى اعترافٍ أو حتى دليلٍ، في نفس الوقت وضع (شريف) سماعات الأذن لتجنب الضوضاء، وأخذت عيناه تتفحصان الوشم بإعجابٍ شديدٍ حتى مرت الدقائق، وخارت القوى من كثرة الجدال الذي دفع (راجح) إلى ترك الغرفة غاضبًا منهكًا، وسبَّب للراهب بعضًا من الألم بعد تذكره لماضيه.

شريف: هل وجدت السلام في معبد شاولين؟

لم يعد يملك الراهب الرغبة في التظاهر أكثر من ذلك؛ فأخرج من جيبه التبغ الملفوف لإشعاله وملء صدره بالدخان لبعض من الوقت، وبدأت النفس في الهدوء بعض الشيء، ليرجو من (شريف) السرية وإخفاء روايته عن السفارة الصينية، ليوافق (شريف) على حفظ

السر قدر المستطاع.

الراهب: كم تمنيت أن أكون قاتله!

اعترف (شوياكو) أخيرًا بهُويته الحقيقية وعضويته في الياكوزا التي هرب منها بعد قتل أحد أعضائها، ومهارته في تهريب الآثار خارج الحدود، وعلاقته مع النمرود والعهد، وتجنيد أفرادٍ للسرقات والتهريب الذي دام لسنواتٍ عديدة والتي لم تخلُ من الحذر، خاصةً أنَّ النمرود يعاني من هوسٍ مرعبٍ بالآثار السومورية؛ حيث كان هناك خلاف دائم بينه وبين (شويكاو) على بعض القطع الحجرية التي ليس لها قيمة بالنسبة للبعض، لكن النمرود كان يصر على اقتنائها لنفسه لبعض الوقت ثم يحطمها بعد عدة أيامٍ!

زادت الريبة في نفس (شوياكو) عندما بدأ النمرود بوضع الخطط وتنفيذ عمليات سرقة المتاحف، وزاد العجب عجبًا من طلبه في سرقة قطعٍ محددة لا غير، وازدادت السرقات بشكلٍ ملحوظٍ حتى أصبح اسم (شوياكو) معروفًا لدى السلطات العراقية؛ لذلك أراد (شوياكو) أن يكون صاحب اليد العليا في حالة الخيانة؛ لذلك فضَّل (شوياكو) الاحتفاظ ببعض القطع الأثرية القيمة وإخفائها عن أعين النمرود دون بيعها تجنبًا لأي غدرٍ.

يروي (شوياكو) عندما حانت ساعة التنفيذ لسرقة المُتْحف العراقي، انتشر الأفراد داخل المُتْحف نحو القطع المخطط سرقتها. لكن ما تعجَّب له (شوياكو) ما فعله (النمرود) عندما اتجه كالمجنون إلى القبو الخاص بالمُتْحف، وتحديدًا إلى قسم المخطوطات فاتبعه

(شويكاو) ليرى ما لم يره من قبل؛ عندما أطلق النمرود النار على صديقه (عبد الله) أمام ابنه الصغير، وأخذ يملأ جُعبته بعشرات المخطوطات، والأوراق، والقطع الأثرية الصغيرة ليوقع دون قصدٍ إحدى القطع الذهبية؛ فأدرك (شوياكو) أنَّها اللحظة الفارقة، فأخذ القطعة لتكون حمايتها ضد غدر النمرود الذي قتل صديقه منذ لحظات.

ظل الصمت سائدًا بين النمرود و(شوياكو) منذ لحظة الهروب من المُتحف، مرورًا بتهريب الآثار وتوزيع الغنائم، وتفرق أفراد العصابة في بقاعٍ مختلفة، حتى الهروب عبر الحدود السورية بالقرب من معبر الوليد، حتى حانت ساعة المواجهة وأمر النمرود بالقطعة الذهبية خاصته مقابل حصته كاملةً من السرقة، لكن لم يعد في القلب مكانٌ للثقة، ولم يجد (شوياكو) سوى أكاذيب من لسان النمرود السام وهو على يقينٍ أنَّه لن يتغلب على هذا النمرود الصلب الذي لا يعلم الألم ولم يتناول أي مخدرٍ قط، حتى وإن أُصيب بجروحٍ بالغةٍ فلا ملجأ سوى الهرب؛ لذا بدأت المطاردة بين الفريسة والمسعور والتي لم تستمر طويلًا، وانتهت بإطلاق النار على (شوياكو).

شاءت الأقدار أن ينجو (شوياكو) بعد أن وجده أحد شيوخ القبائل البدوية على الحدود، وضمد جراحه وعندما اشتد أزره بعد عدة أسابيع ثم عاد إلى مخبئه لينبش من أجل كنزه فلم يجد أمواله أو ذهبه؛ فأدرك سرقة النمرود لكن (شوياكو) كان أذكى مَن يلقي بتلك القطعة النفيسة مع باقي الكنوز، فأخرجها من بين الصخور التي

حمتها طوال فترة مرضه وأخذ يهرب سريعًا؛ خوفًا أن يقتله النمرود مرةً أخرى فلم لم يجد له ملجأً.

وفي إحدى عمليات التهريب على حدود منغوليا، شهد (شوياكو) الرعب عندما شاهد قطاع الطرق أو أشباح الصحراء كما يُطلَق عليهم عندما هجموا على حافلةٍ تعبر الحدود؛ لنهبها وقتل كل مَن بداخلها والهرب، لم يعلم (شوياكو) سبب الفضول الذي دفعه للذهاب إلى الحافلة بعد مغادرة الأشباح، لكنه وجد السبب أخيرًا عندما وجد أحد الركاب العابر للحدود للالتحاق بمعبد شاولين، ولم يفكر كثيرًا إنما وجد الملجأ المناسب له بعيدًا عن أعين العالم؛ لذا عاش في (شاولين) باسم (كا - يو).

الراهب: ربما كان في بداية الأمر الاختباء من الجميع، لكنني وجدت نفسي الضالة منذ سنواتٍ.

شريف: لماذا جئت إلى مصر؟

الراهب: لمواجهة عدوي القديم.

لم يعلم الراهب كيف استطاع النمرود الوصول إليه؛ فلم يجد سوى تفسيرٍ واحدٍ ألا وهو الصور التي تم نشرها في العديد من الصحف، والمجلات، ووسائل الإعلام لجولة تلاميذ معبد شاولين في الشرق الأوسط ومنها مصر منذ عامين، ليؤكد الراهب أنَّه فور العودة إلى معبد شاولين استقبل رسالةً من النمرود للإعراب عن أسفه عما حدث في الماضي، وطلب المغفرة واستعداده لتعويض الراهب عن كل السنوات الماضية في مقابل القطعة النفيسة، ورغم تجاهل الراهب

للأمر أكثر من مرةٍ والعروض التي قدَّمها النمرود بمئات الملايين إلا أنَّ النفس قد ضلت مرةً أخرى، واشتعلت رغبة الانتقام واسترداد كل ما سرقه النمرود منه.

كان اللقاء ليلة البارحة في الفندق الذي يقيم فيه النمرود، والذي استقبل الراهب بترحابٍ شديد، وتجنب اللوم والعتاب منذ الوهلة الأولى حيث قام بعمل تحويلٍ بنكي إلى حساب (شوياكو) بقيمة خمسين مليون دولار؛ فعجز غضب (شوياكو) عن الكلام وفضَّل الصمت والاستماع إلى عرض النمرود المغري، الذي قرر بعمل تحويلٍ بنكي آخر مثل ما سبق في مقابل القطعة الذهبية، فاعترفت النفس باستسلامها لشهوة المال ووافق الراهب على الفَوْر.

في صباح اليوم التالي، قابل النمرود صديقه القديم داخل أسوار القلعة، وتم التبادل بينهما وأخذ النمرود مراده وانصرف دون وداعٍ، لكن المال لم يمنع الفضول على تقفي أثر النمرود؛ حيث شاهد الراهب دخول النمرود إلى البئر وحده، وظل الراهب يراقب طويلًا؛ حتى يتأكَّد أنَّه وحيدٌ في البئر حيث عزم (شوياكو) على إنهاء حياة النمرود فَوْر صعوده على درج البئر ليكن بعيدًا عن الأنظار.

الراهب: لكن المفاجأة عندما سمعت الصرخات؛ فهبطت سريعًا إلى القاع آملًا أن أراه يعاني مثل ما عانيت طوال حياتي، حاولت إنعاشه أكثر من مرةٍ لأنَّه لا يستحق تلك الموتة الهادئة.

شريف: أين القطعة الذهبية؟

الراهب: ما تحمله بيدك .. إنَّه الخنجر!

********** ********** **********

أوامرٌ غامضةٌ:

خرج (شريف) من غرفة الراهب، ليجد الاجتماع الثلاثي بالممر مجددًا حيث روى (سليم) اعتراف الأشقر بعلاقته ل(شافعي الغريب)؛ حيث بدأت منذ أكثر من خمس سنواتٍ حيث كان يمتلك (عبد المنان) عيادةً صغيرةً للعلاج الطبيعي في منطقة أبي قير بالإسكندرية، وكان العجوز من مرضاه وقد أوجز الأشقر قوله بتوطيد علاقته عندما عرض (شافعي) على الطبيب استثمار جزءٍ من ماله في إنشاء مركز كبير للعلاج الطبيعي، على أن يدير الأشقر هذا المشروع في مقابل حصة كبيرة من المال؛ فلم يتردد (عبد المنان) في الموافقة التي جعلته تحت رحمة النمرود، واتباع أوامره دون فهمٍ أو سؤالٍ.

سرد (سليم) ما تبقَّى من رواية الأشقر الباكي المتوافقة مع رواية الساحر منذ بداية المراسلات، والإشراف على الجولة الفنية، مرورًا باستقباله في المطار، حتى جولته السياحية في قلعة صلاح الدين الأيوبي والتي انتهت نهايةً دمويةً.

وجد (راجح) بعد سماع كافة الروايات والتي انتهت برواية (شريف) الذي استطاع أخذ اعترافٍ من الراهب أنَّه من أعداء النمرود القدامى، أنَّه على الرغم من عدم وجود أي دليلٍ مادي يدين أيًّا من الأربعة إلا أنَّ رواياتهم عن علاقتهم المريبة بالنمرود تؤكد أنَّهم يخفون شيئًا ما، خاصةً وأنَّ التحقيق غير رسمي حتى وقتنا هذا؛ لذا وجب على المحققين إيجاد الدليل القاطع على إدانة أحدهم أو إخلاء سبيلهم.

شريف: أخبرتك أنَّه كاذب.

راجح: مَن تقصد؟ الراهب؟

شريف: الساحر.

عرض (شريف) على الحاضرين صفحة التواصل الاجتماعي الخاصة ب(كيفانش)؛ حيث عرض في كثيرٍ من الصور والفيديوهات منزله الفاخر الذي يمتكله منذ سنواتٍ في منطقة (بودروم ياليكافاك)، حيث قام (شريف) بتصفحٍ سريعٍ عن طريق الإنترنت؛ فوجد أنَّ أسعار المنازل في تلك المنطقة الفاخرة لا تقل عن اثنين مليون يورو.

شريف: قال أن ثلاثة ملايين دولار مبلغ مُغرٍ، هو يسكن في منزلٍ فخم.

ثم طرح (شريف) السؤال الذي أكَّد أنَّ الساحر يخفي أمرًا؛ حيث قال (الديب) في وقتٍ سابق أنَّ (كيفانش) تربى يتيمًا في أحد الملاجئ، فكيف حصل على تلك الأموال الطائلة ما لم يكن يخفي أمرًا؟! لذلك أمر (راجح) كلًا من (سليم) بالتحقيق مجددًا مع (كيفانش)، لكن هذه المرة في حضور (شريف) الذي لم يكن ينصت لأوامر العميد بوضوحٍ؛ حيث يتوجه إلى الجهة المقابلة ليقف أمام ضابط البوليس الدولي ليهمس (شريف) بأذنه، وما إن انتهت همسات (شريف) لتظهر أثار التعجب الشديد لأول مرة على وجه (الديب).

شريف: هل تستطيع فعل ذلك؟

الديب: أنا أستطيع فعل كل شيءٍ، لكن إن سألت عن السبب ستمتنع عن الإجابة، لن أستغرق سوى 10 دقائق.

دخلت الحيرة في عقل (راجح) وشعر بفقد السيطرة؛ حيث وجد (الديب) ينطلق إلى الطابق السفلي متحدثًا بهاتفه في عجالةٍ. وعلى الجانب الآخر، وجد (شريف) قد خالف الأمر ودخل الغرفة لسماع الرواية بالتفصيل من جديدٍ، حيث دخل بخطواته الهادئة وابتسامته التي لا تغيب عن وجهه أبدًا ليجلس أمام الراوي، وما هي سوى لحظاتٍ حتى دخل (سليم) للجلوس بجانب صديقه الذي تسبب في إحراجٍ كبيرٍ له أمام رئيسه، لكن لن يبوح (سليم) بالأمر ليقينه بعدم اهتمام (شريف) بتلك الأمور الذي لقب الطبيب ب(أزو) الأمر الذي جعل مَن بالغرفة ينظرون إليه من أجل معرفة معنى اللقب وسببه، لكنه لم يهتم بالتفسيرات وظل في صمته لعدة دقائق.

شريف: أخبرني كل شيءٍ من البداية، لماذا أتيت إلى مصر؟

هدأ البكاء وحلَّ مكانه بعض العجب من طلب (شريف) بسرد ما حدث مرةً أخرى؛ حيث بدأ (عبد المنان) بعلاقته بالنمرود لكن لم يستكمل حديثه بعد أن قاطعه (شريف) الذي أصر على سماع رواية الأشقر منذ أن كان في سوريا، لكن على الرغم من الماضي الأليم الذي لا يمت بالنمرود بأي صلةٍ إلا أنَّ الطبيب لم يبدِ أي اعتراضٍ، لكنه انتظر للحظاتٍ حتى يمسح دموعه التي اختلطت بالعرق الذي ملأ وجهه ثم بدأ بعد لحظاتٍ في سرد قساوة ما حدث له في السابق.

على الرغم من صغر سنه إلا أنَّه حقق نجاحًا أكاديميًا والحصول على درجة الدكتوراة في وقتٍ قياسي، لكن لم يجد في بداية الطريق سوى الدمار والخراب الأمر الذي اضطره ليكون أحد الأطباء المتطوعين في إحدى المستشفيات في مدينة داريا، التي عانت من القصف والحصار لمدة أربع سنوات أثناء الحرب الأهلية السورية؛ الأمر الذي دفع (عبد المنان) إلى الهجرة مع بعض اللاجئين السوريين في شهر يونيو عام 2016 إلى مصر، بعد أن فقد أسرته وأمواله ومستقبله؛ ليبدأ رحلة الكفاح من جديدٍ في وطنه الجديد، وعمل في إحدى عيادات العلاج الطبيعي في الإسكندرية والتي كانت بداية التلاقي بالنمرود، الذي كان يعاني من آلامٍ شديدة في فقرات العظم، ثم زادت الجلسات وعمل الحجامات حتى أصبح مترددًا على المكان بصورةٍ يوميةٍ لمجرد تدليك الفقرات التي أرهقها الزمن؛ فزادت معها الصداقة بينهما وكثرت الزيارات في عدة أماكن بدءًا من مركز الغطس الخاص ب (شافعي)، حتى الزيارات المنزلية، فوجد (عبد المنان) الأب الذي فقده في الحرب، وزاد العطاء عندما قرر (شافعي) بناء المركز الطبيعي تحت إشراف (عبد المنان) الذي لم يدرك أنَّه يوقع صك العبودية؛ حيث أصبح يطيع أوامر النمرود الغامضة.

لم تتغير النفوس إلا بعد تغير الأحوال؛ حيث ظل (شافعي) العجوز الطيب الذي أغوى (عبد المنان) بالمال، والمنزل الفخم، والسيارة الفارهة، وعندما ائتلف الأشقر حياة الرغد أصبحت شقاه حيث أدرك بعد فوات الأوان أنَّه لا يملك شيئًا، إنما كل ما يملك منزلًا أو حتى سيارة كان باسم (شافعي)، وعندما طلب (عبد المنان) الحق بالشكل

القانوني ظهر النمرود وأذله وأهانه، لكن سرعان ما لبس النمرود رداء العجوز الطيب فما كان أمام الأشقر سوى العيش في كنف النمرود.

عبد المنان: مر على هذا الجدال سنتان أو أكثر، وظل الهدوء بيننا، وحرصت أن أجمع المال في خفاء حتى تأتي اللحظة الحاسمة وأتحرر من قيده، لكنني تأخرت كثيرًا.

بدأت الأوامر الصارمة في الانهمار على رأس الأشقر؛ حيث أمره النمرود بالسفر إلى عدة أماكن متفرقةٍ داخل مصر وخارجها لأسبابٍ مجهولةٍ ومريبة؛ حيث اعترف (عبد المنان) بسفره إلى دولٍ مختلفة في أوروبا وآسيا، والتردد على بلادٍ عدة مراتٍ مثل: تركيا، واليابان، والصين حاملًا مجرد رسائل محكمة الغلق بالختم الشمعي، حتى يتم تسليمها إلى رجالٍ من مختلف الجنسيات، والأعمار، والديانات فمنهم الفاسد، والقاتل، والسارق، والملك، وحتى الراهب.

أعرب (عبد المنان) عن مدى خوفه في كل مرةٍ يسلم بها تلك الرسائل المجهولة؛ حيث يشهر المرسل إليه سلاحه ثم يبدأ بتفحص الرسالة من الخارج، وبالأخص الختم الشمعي الخاص بالنمرود؛ للتأكد من عدم العبث بتلك الرسالة أو محاولة فتحها، وإن ظهر العبث قتل الرسول، ولا يبرح الرسول مكانه حتى يأتي برسالةٍ إلى سيده.

ازدادت الأمور سوءًا عندما بدأ النمرود في جعل (عبد المنان) هو الواجهة الرئيسة في عمليات التنقيب وبيع القطع الأثرية على الحدود المصرية، حتى كادت أن تنتهي حياة الطبيب في إحدى عمليات بيع القطع الأثرية على الحدود الليبية والتي قد تم الإبلاغ

عنها، حيث كادت الشرطة أن تدركه هذه المرة، لكنه استطاع الهرب والعودة إلى الإسكندرية، لكن لم يدخل على سيده خائفًا، إنما ثائرًا من أفعاله الشائنة وتسلطه وتحكمه بحياة الطبيب الذي أصبح كالأليف الذي يضع حول عنقه القيد الذي تنتهي بسلاسل في يد النمرود، فاتخذ الطبيب قراره وعزم على الرحيل غير مكترثٍ بالأموال أو المستقبل، لكن الدهشة أطفأت نار الغضب حيث أجابه (شافعي) بشيءٍ من الحكمة والهدوء أنَّه يوافق على قرار صديقه الطبيب، وأيَّد كلامه وهو الحق، وأقسم (شافعي) عن العدول عما يفعل، والتوقف عن أعمال التنقيب والتهريب، بل وعدم مراسلة أي شخصٍ بالعالم أجمع؛ فقد أتت التوبة دون إنذارٍ، بل وزاد الأمر غرابةً عندما وقَّع (شافعي) على عقود بيع المنزل ونصف المركز كاملًا إلى (عبد المنان)، فأعطى العجوز كل الدلائل والضمانات على توبته دون مقابل، حتى جثا على ركبتيه راجيًا من صديقه (عبد المنان) ألا يتركه في محنته؛ حيث يحتاج العجوز مَن يرعاه في أيامه الأخيرة، وادَّعى العجوز بشيءٍ من المزاح أنَّه لا يستطيع العيش دون جلسات الظهر اليومية، وأصابع الطبيب السحرية، فما كان أمام الطبيب سوى الوقوع في شرك النمرود مرةً أخرى.

استمر الحذر والخوف حائلًا بين (عبد المنان) وبين (شافعي) الذي عدل عن جميع الأعمال غير الشرعية، أو حتى إرسال أية رسائل، وما كان يطلبه دائمًا هو مساعدة الفقراء بالأموال، وتمويل مشاريع الشباب في مختلف بقاع العالم. على الرغم من الطيبة والحنان التي عادت إلى قلب العجوز مرةً أخرى إلا أنَّها لم تمحِ ما حدث للطبيب

من قبل، وظل العجوز على حاله لأكثر من عامٍ حتى جاء في أحد الأيام طالبًا من (عبد المنان) أن يتواصل مع الساحر المقنع لمجرد إيمانه بموهبته؛ فأمر بعمل جولةٍ فنية له في عدة دولٍ على أن تنتهي الجولة في مصر، الأمر الذي أدخل الريبة مرةً أخرى في قلب (عبد المنان) لكنه أصبح أكثر نضجًا بعد معايشته لهذا العجوز؛ لذلك فضَّل معرفة كل ما هو مطلوبٌ لدعم هذا الساحر المقنع؛ حتى يتأكَّد من خلو الأمر من أي خطأ قانوني أو أخلاقي، فإن وجد خطبٌ ما انصرف وترك العجوز كما قرر بالماضي، وإن كان الأمر قانونيًا حقًا نفذه دون جدالٍ خوفًا من أن يستيقظ شيطان العجوز القديم.

انتهت رواية (عبد المنان) المتصبب عرقًا بعد أن روى كل ما قيل من قبل الساحر، بدءًا من تواصله عبر الإنترنت، مرورًا بالتعاقدات ثم استقباله في مصر، وحتى الصرخات التي سمعها في بئر يوسف؛ الأمر الذي دفعه إلى الهبوط سريعًا لكنه سقط قبل الوصول إلى صديقه العجوز، لكنه حاول التغلب على ألمه وحمل حقيبته الصغيرة، ثم أكمل طريقه إلى القاع حتى وصل إلى (شافعي) الملقى على الأرض، لكنه وجد مَن يحمل سلاحًا في وجه الثلاثة الذين قد سبقوه، فطلب الطبيب أدبًا محاولة إنقاذ العجوز فأذن الضابط له.

عبد المنان: لكن قد فات الأوان.

شريف: احكِ مرةً أخرى.

في تلك اللحظة، عمَّ الصمت داخل الغرفة، وكانت الأوجه كافيةً للاعتراض على ما طلبه (شريف) سواء علامات التعجب الغاضبة

من قبل الأشقر المتعرق من حرارة الجو، أو علامات اليأس التي تملأ وجه (سليم) مما يطلبه صديقه لكنه لم يعترض؛ عسى أن يجد شيئًا لم يره أحدٌ قط.

روى (عبد المنان) روايته مرةً أخرى حتى وصل إلى خروجه من سورية في النصف الأول من عام 2016، حتى أتت النجدة أخيرًا لإنهاء هذا العذاب؛ حيث دخل عليهم (الديب) بابتسامة النصر طالبًا كلا من (سليم) و(شريف) بإنهاء التحقيق والخروج من الغرفة في الحال.

اجتمع الأربعة محققين في بقعتهم المعهودة خارج الغرف، لكن هذه المرة بمعلوماتٍ جديدة تكاد أن تنهي التحقيق.

الديب: أنت محق يا (شريف)، (كيفانش) كاذب.

********** ********** **********

جذور الحقيقة:

لم يرد (شريف) البحث عن حقيقة الحاضر، بل كان شغوفًا بالبحث داخل صفحات التاريخ؛ فقام بطباعة بعض الصور خاصته ثم عاد إلى الغرفة الأولى؛ للبحث مع صديقه الجديد الشغوف بحب الماضي وحقيقته التي تمثل جذور المستقبل، فعرض الصور على (ناصر) الذي أخذ يتفحص الصور التي لا تعرض شيئًا سوى بعض الحوائط الحجرية المتواجدة داخل البئر، التزم (ناصر) الصمت حيث لم يجد الإجابة أو الشرح لعدم إداركه سبب عرض الصور عليه؛ لذا طرح فطلب من (ناصر عبد الدائم) معرفة هُوية (قراقوش).

ناصر: هو الوالي لمصر الذي أنشأ ق....

شريف: أقصد بهاء الدين قراقوش بن عبد الله الأسدي.

أدرك (ناصر) مقصد المحقق الذي يسعى للبحث في صفحات التاريخ الفارغة، فلم يذكر المؤرخون سوى كلماتٍ عن أصل (قراقوش) ونشأته وأصوله التي اختلف عليها المؤرخون، ما بين الأرمانية واليونانية، حتى أجمع الكثيرون طبقًا للاسم على أصوله التركية؛ نظرًا لاسم (قرة قوش) الذي يعني باللغة التركية (النسر الأسود)، والذي بدا غريبًا نظرًا لبشرته البيضاء، وأجمع الكثير أنَّ اسم (بهاء الدين) ما هو إلا لقبٌ.

كما افترض بعض المؤرخين بأنَّه بلا أبٍ؛ حيث كان يطلق اسم (عبد الله) على كل مَن لا يُعرَف له أبٌ، أما (الأسدي) فهو اللقب الذي حمله نسبةً إلى سيده الذي اشتراه من أسواق الشام (أسد الدين

شيركوه) أحد قادة جيش الحاكم (عماد الدين زنكي)، حاكم الموصل وحلب.

شريف: لكنك ذكرت في بحثك عن أصول (قراقوش) من آسيا الوسطى.

ابتسم (ناصر) ونظر إلى الأعلى؛ ليتذكر رحلته الشاقة التي استمرت لعدة أسابيع إلى كازخستان، التي اجتذبت عدة قبائل وشعوبٍ متنوعة أغلبهم من البدو الناطقين بالهندو أوروبية، كما أنَّها تعتبر أولى الخاقنات التركية في منتصف القرن السادس، حيث استوطنها جماعة ال(غوك تورك) أو الأتراك السماويون كما لُقبوا، وخير دليلٍ على انتشار قبائل الأتراك هي أسماء عدة مناطق ومدنٍ مثل: أرض (ألماطي) والتي تعتبر العاصمة الثقافية لدولة كازخستان؛ حيث أنَّ كلمة (ألماطي) أو (ألما تا) هي كلمةٌ تركيةٌ تعني (التفاح الأب).

أثناء رحلة (ناصر) الاستكشافية عن الأصول التركية في دولة كازخستان، انتهت به الرحلة في شبه جزيرة مانجيشلاك الغامضة بشمسها الحارقة، ومُناخها القاسي، المليئة بالأسرار والرسومات الغامضة التي تبلغ عشرات المترات، وأسوار المستوطنات القديمة والمعابد الحجرية التي تحتوي على نقوشٍ لا مثيل لها في العالم.

وصل (ناصر) إلى المراد إلى خندق (كاراجي) وهي كلمةٌ تركيةٌ تعني الفك الأسود، كما أوضح (ناصر) أنَّ تشكيل خندق (كاراجي) الجيولوجي الذي جعله يحتوي على الكثير من الحفر، والممرات،

والكهوف، والخطوط التي قد تجعله مليئًا بالأسرار والخرافات لعدة قرونٍ.

جلس (ناصر) مع بعضٍ ممَن تبقى من أهل ماجيشلاك، التي تعود أصولهم إلى ال(غوك تورك) حيث شهدوا الكثير من المستكشفين الذين هبطوا إلى أعماق الخندق دون عودة، كما شهدوا الكثير من الصاعدين بروايات منذ آلاف السنين؛ فمنهم مَن صعد بجسده دون عقله، والبعض صعد بعد أن سُلبت روحه، حتى سُمي خندق الاكتئاب لكن على الجانب الآخر، هناك بعض مَن صعد وقد وجد السعادة في مقابل عضوٍ من أعضائه، وهناك مَن روى أنَّه وجد الكاهنة التي أخذت قدمه اليسرى بعد أن دلته على ذهب العالم، وأما من الروايات الشهيرة أنَّ هناك فتى أبيض الوجه أسود اللقب، وصل إلى القاع على عمق أكثر من مائة متر، ووجد قوة الكون وصعد بعد أيامٍ، خصيًا .... ثم اختفى عن الديار، وقيل أنَّه أصبح حاكمًا لأعجب البلاد.

شريف: قراقوش!!!

ناصر: هذا ما وجدته.

شريف: معلوماتٌ غير مؤكدة، مجرد رواية.

ناصر: ما التاريخ إلا روايات، لا يعلم أصلها غير الله وحده.

شريف: وجد قوى الشيطان في خندق كاراجي؟

ناصر: لا أعتقد ذلك، فإن وجد الغواية لحكم أرضه منذ صغره، وهي بلادٌ بعيدة عن النمرود، لكن أعتقد أنَّه وجد طريق الغواية،

لكنني لم أجد حلقة الوصل حتى الآن بين الملك النمرود وقراقوش.

نهض (شريف) من مقعده دون سابق إنذارٍ ليتوجه إلى باب الغرفة دون أي كلماتٍ، حتى وصل إلى الباب فتوقفت خطاه وأخذ ينظر إلى الباب الأبيض المزخرف بوجهٍ هادئ باسم.

شريف: أنت تنتظر إجابتي .. أعلم هذا، لكن ليس الآن.

فيخرج (شريف) من الغرفة تاركًا (ناصر) حائرًا بين كلماته الأخيرة.

********** ********** **********

الوارث:

لم يستطع مقاومة الاتهامات الصارخة في وجهه، خاصةً بعد أن تم اكتشاف خدعته الكبرى حيث قام (محمد الديب) بالتقصي عن الأوراق الخاصة بالملجأ الذي كان يسكنه (كيفانش)، والذي أثبت أنَّ والدته المدعوة ب(أريكا أورمان) قد توفيت أثناء ولادته عام 1991، وبعد البحث في ملفات البوليس الدولي، تم اكتشاف أنَّ السيدة (أريكا) هي زوجة (سام مردوخ) الذي اختفى في نفس العام.

كيفانش: نعم، إنَّه أبي.

دخل (شريف) على المتهم والمحققين الثلاثة، عندما بدأت الأسئلة في التلاشي لسماع الإجابة المنتظرة التي صدرت من صوتٍ غاضبٍ مما تكبَّده؛ بسبب فقدان الأب والأم لأكثر من خمسة عشر عامًا متجولًا بين الملاجئ والشوارع، دون أسرةٍ أو مالٍ حتى تم احتجاز (كيفانش) عام 2007 في قسم الشرطة بتهمة سرقة سيارة، واعترف (كيفانش) أنَّها كانت نقطة التحول في حياته، عندما أتى إليه أحد المحاميين لدفع كفالته، وإخراجه من الحجز ومن الحياة المشردة ونقله إلى شقة فخمة لم يرها (كيفانش) سوى بالمجلات والأفلام.

لم يكن يعلم (كيفانش) صاحب المنزل أو مرسل الأموال بشكلٍ دوري، حتى أنَّه لم يهتم بل اغتنم الترف وعاش حياةً لم يدركها من قبل، وجلس في غفلته عدة سنواتٍ؛ فزادت الشهوات وصاحبه الطمع حتى بدأ بالسؤال عن مصدر الأموال، فوصل إلى المصرف البنكي

للاستفسار، حتى علم الاسم الذي لم ينسه طوال حياته، الاسم الذي لا يعلم صلة قرابته ب(كيفانش)، الاسم الذي طالما قرأه في رسائل والدته التي كتبتها إلى مَن تحمله في أحشائها قبل الفراق، الاسم الذي ترك زوجته وفِلذة كبده قبل أن يرى الحياة، إنَّه مَن ترك ابنه الوحيد يأكل مع الجرذان في الشوارع .. إنَّه (سام مردوخ).

ظل البحث طويلًا عن هذا الاسم في عدة مصارف داخل تركيا، ثم أكمل البحث حتى توصل إلى ملكية (سام مردوخ) لأكثر من خمسين حسابًا بنكيًا في دول أوروبا، وتأكَّد الأمر بذهاب (كيفانش) إلى المحامي الذي أنقذه من السجن حيث اعترف أنَّه قد تلقَّى اتصالًا منذ عدة سنواتٍ من (سام مردوخ) قبل اختفائه، وكلَّفه بالبحث عن ولده الوحيد ورعايته مع إعطائه ما يكفيه للعيش حياةً كريمةً، لكن لم يجد الطمع ما يكفيه؛ فقد أراد (كيفانش) ما يملكه والده وطالب به وأعلن عن الوثائق والرسائل التي تؤكد حقه كوريثٍ، لكن القانون المصرفي لم يعتد بنسبه فلا يحق للوريث أخذ أية أموالٍ ما لم يتم ثبوت وفاة صاحب الحساب المصرفي.

لم يستسلم الطمع إلى اليأس لكنه اعتنق الصبر؛ فأخذ يبحث فيما تركته والدته من أوراقٍ أو مذكراتٍ عن أي شيءٍ يخص والده فلم يجد سوى عشق (مردوخ) ببلاد بابل وطقوس السحر القديمة، الأمر الذي دفع (كيفانش) إلى الحيلة التي تخرج الثعبان من أعماق الشقوق؛ فأسرع (كيفانش) إلى المحامي لطلب المزيد من المال من أجل تعلم السحر وخفة اليد، كما أخبره بهُويته الجديدة التي ستهز أرجاء الأرض (ماسكيلي)، ثم عاد إلى منزله في انتظار الجواب من

المحامي المدَّعي الجهل. وفي قرابة اليوم الثالث وجد المحامي أمامه بأموالٍ أكثر من ذي قبل، لترافقها رسالةٌ تحتوي على جملةٍ واحدةٍ: (استمر في الدرب حتى آتي إليك، سأجعلك تجوب العالم أجمع).

لم يتوقف عن التعلم؛ حيث سافر (كيفانش) إلى مختلف العالم لتعلم فنون السحر المختلفة، مع بعض من الكابالا والفودو وغيرهم، وبعد سنواتٍ من التعلم ظهر (ماسكيلي) إلى العامة وأذهلهم بسحره وعلا شأنه، وأصبح له قدرٌ من المتابعين والمعجبين على صفحات التواصل الاجتماعي وربح الكثير من الأموال، لكنها لم تصل إلى عُشر ما بثروة (مردوخ)؛ لذا عزم العمل من أجل الشهرة، حتى يصل إلى المراد.

في أحد الأيام، استدعاه المحامي الكاذب الذي ادَّعى التواصل مع أحد الرعاة من أجل جولةٍ فنيةٍ في بعض دول أوروبا والشرق الأوسط، لكن الساحر شعر بأبيه بعد كلماته الأخيرة في رسالته (سأجعلك تجوب العام)؛ لذا تظاهر الساحر بابتلاع الطُّعم والموافقة على عرض المدعو (شافعي الغريب)، والتزم بالعقد المبرم وعمل الجولة الفنية المتفق عليها، حتى انتهت بوصوله إلى مصر، وزاد الاشتياق لملاقاة مفتاح ثروته وظل منتظرًا في غرفته الفندقية في القاهرة حتى سمع طرق الباب؛ فوجد الساحر والده الذي لم ينكره، وازداد قلق الساحر وتوتره عندما أدرك الشيطان مخطط ولده؛ حيث كان (مردوخ) يتابع تحركاته وتردده على المصارف البنكية وإصراره المستمر على أخذ الميراث بأكمله.

ازداد الذعر عندما سمع موافقة (مردوخ) على مخطط ولده، فأعطاه العهد بترك أمواله في مصارف أوروبا له دون سفك الدماء، لكن لم يشعر الساحر بالسعادة خوفًا من الغدر؛ فجلس يفكر ويستمع إلى عرض (مردوخ) خاصةً بعد المقابل البخس، ألا وهو البث الحي، فازداد توجس الساحر الذي لم يجد سوى الموافقة على العرض السلمي.

كيفانش: بالطبع تعلمون ما حدث في نهاية الأمر.

.....

الرواية الرابعة:

اجتمع الأربعة محققين من جديدٍ خارج الغرف، واختلفت الآراء؛ حيث اتهم (الديب) الساحر الذي يسعى للتخلص من والده من أجل المال، أما (سليم) فقد اتهم الراهب والشريك القديم الذي يسعى للانتقام، خاصةً أنَّه الشخص الوحيد الذي يملك المهارات المناسبة لإنهاء حياة أي إنسانٍ بإبرةٍ صغيرة، كما حدث في البئر لكن خبرة (راجح) جعلته يصر على اتهام الأربعة، حيث أنَّه وجد الدافع لدى كل نفسٍ لإنهاء حياة النمرود، كما أنَّه افترض اتفاق المتهمين الأربعة على الجريمة التي لم يتم سَبر أغوارها بعد، كما أنَّه لم يستمع بعد إلى رواية (ناصر) الأمر الذي جعل المحققين الثلاثة إلى النظر إلى (شريف) الذي رأى أنَّ اكتشاف سر النمرود الذي قد يمنع كارثة قادمة أكثر أهميةً من معرفة منفذ جريمة قتلٍ لن تحيى الميت مجددًا.

على الرغم من تأييد (راجح) لرأي (شريف) إلا أنَّه وجد الكلمات مجرد افتراضياتٍ قد تستغرق أعوامًا لاكتشافها؛ لذا لم يملك سوى التركيز في حل جريمة القتل لا أكثر، وإيجاد كافة الأدلة القاطعة قبل نهاية اليوم تجنبًا للكارثة الحالية، ثم الاستعداد في وقتٍ لاحق للكوارث القادمة.

الأمر الذي دفع (راجح) لإصدار الأمر إلى (سليم) بالتحقيق مع (ناصر)؛ لسماع الرواية الرابعة وإنهاء استجواب المتهمين، ثم انتظار تقرير المعمل الجنائي الذي قد ينهي تلك القضية برُمتها.

يدخل (سليم) إلى الغرفة الرابعة لاستجواب (ناصر)، بينما ينتظر

(شريف) بالخارج بصحبة العميد و(الديب) اللذيْن بدآ في بعض الأحاديث الجانبية عن تلك القضية الغامضة، وتبادل وجهات النظر عن المتهمين، وما هي سوى لحظاتٍ حتى تلقَّى (راجح) اتصالًا هاتفيًا من (مصطفى) يؤكد انتهاء فريق البحث الجنائي من مهمته في قاع البئر، وبسبب صعود ونزول أعضاء فريق البحث عدة مراتٍ إلى البئر فقد تطلب الأمر الكثير من الوقت.

أصدر العميد أمره إلى (مصطفى) لمتابعة نتائج التحاليل والتشريح لحظةً بلحظةٍ وإحضار التقارير فور انتهائها، ثم ينهي (راجح) الاتصال لمواصلة الأحاديث مع (الديب) الذي يتشوق لزيارة (بئر يوسف) الذي لم يسمع عنه من قبل، رغم أنَّه الأعجب في التاريخ، وطبقًا لمعرفة (راجح) البسيطة خاصةً أنَّه قد نزل إلى هذا البئر في ريعان شبابه وأشاد (راجح) بحرفة النحت في الجبل الذي يصل أعماقه إلى أكثر من خمسين مترًا، لكن أقسم العميد أنَّه لن يعيد تلك المغامرة مجددًا بعد أن سقط على السلم الحلزوني المحيط بالبئر الهرمي.

في تلك اللحظة، يقترب (شريف) نحو (راجح) بابتسامةٍ مريبةٍ بعض الشيء، دون أن يتفوه بأية كلماتٍ، الأمر الذي سبَّب بعض الإزعاج في صدر (راجح).

شريف: لماذا قلت بئرًا هرميًا؟

راجح: مجرد كلمةٍ عابرة، لكن البئر مثل الهرم المقلوب؛ حيث يضيق اتساعه كلما وصلت إلى القاع؛ فقد شعرت بضيق الصدر كلما

توجهت إلى الأسفل، الأمر ال....

شريف: سأرافق (سليم) في التحقيق.

لم ينتظر (شريف) الموافقة أو الاعتراض من العميد، بل دخل إلى الغرفة بابتسامته التي أثارت انتباه كلٍّ من المحقق والمتهم، الأمر الذي أدَّى لتوقف التحقيق للحظاتٍ لانتظار معرفة ما تخفيه تلك الابتسامة، لكن طال الانتظار دون نتيجةٍ مرجوة فاستكمل (سليم) أسئلته عن علاقة (ناصر) ب(سامي النمرود)، خاصةً بعد اكتشاف السجل الإجرامي الخاص بشقيقه الشيخ (جابر عبد الدايم) الذي كان شريكًا للنمرود في الكثير من عمليات التنقيب غير الشرعية.

ناصر: أنا لا أعلم شيئًا عن مَن لا يستحق أن يكون شقيقي، كما أنَّني لم أعلم مَن هو النمرود في الحقيقة.

سرد (ناصر) في بادئ الأمر علاقته بشقيقه (جابر)، الذي استغل المعرفة التاريخية التي يملكها (ناصر) من أجل الأعمال غير الشرعية، مثل معرفة بعض الأماكن التي يحتمل تواجد المقابر الأثرية بها، وتحديد سعر بعض القطع الأثرية التي تختلف طبقًا لتاريخها الأثري، الأمر الذي أدخل الشك والريبة في صدر (ناصر) مما زاد الخلاف بينه وبين شقيقه فابتعد حتى القطيعة؛ فلا يتلاقى حب العلم مع شهوة المال في طريقٍ واحد، وتأكَّدت الشكوك بعد القبض على (جابر) بالجُرم المشهود أثناء التنقيب عن الآثار.

أما ماهية العلاقة ب (شافعي الغريب) كما ظن (ناصر) فإنَّه كان من أحد القراء المراسلين إلى كاتبهم المفضل الذي أعجب

بالشغف النابع بين السطور والرسائل والتساؤلات عن الحضارات المختلفة، بدءًا من السومرية، مرورًا بالمصرية القديمة، والمقدونية، والإسكندنافية، والأرمانية، والآزتيك، ثم الفتوحات العربية، والحروب الصليبية، والثورات الأوروبية، والإمبراطورية العثمانية، حتى الحروب الحديثة فاستمرت التساؤلات والإجابات لعدة أشهرٍ، وتطور الأمر سريعًا إلى مكالماتٍ هاتفية أوضحت الكثير من الشغف والعشق لجمال التاريخ الذي طمسه الزمن، حتى ازداد الأمر باللقاء الأول منذ عامٍ أو أكثر بين (ناصر) و(شافعي) الذي أعرب عن إعجابه الشديد لخبرات (ناصر) ومعرفته المتبحرة في أعماق التاريخ، الأمر الذي زاد من حماس (شافعي) ليعرض تمويلًا ماديًا ضخمًا إلى (ناصر) لمساعدته في استكشاف المدن التاريخية في مختلف بقاع الأرض؛ لمعرفة المزيد من الاكتشافات التاريخية التي تفيد البشرية، دون أي مردودٍ أو مقابلٍ أو حتى ذكر اسمه في أيٍّ من الكتب، فلم يكن ل (شافعي) أي شروطٍ سوى اثنين؛ أولهما: مشاركة (ناصر) في كافة المعلومات عن اكتشافاته الجديدة؛ للاستفادة من علمه. والثاني: البدء في البحث عن تاريخ بعض الشخصيات في أزمنةٍ مختلفة، لكن رجَّح البدء بشخصيةٍ بعينها.

شريف: قراقوش.

ناصر: أجل، لكني لم أجد الكثير عن الماضي كما كان يتمنى، وما هي إلا افتراضاتٌ، لكن ظل إلحاحه في معرفة المزيد والبحث أكثر في أعماق الدولة الأيوبية؛ من أجل كشف الغموض عن الشخصية المثيرة للجدل حتى وقتنا هذا.

سليم: ماذا حدث بعد ذلك؟

ناصر: لا شيء، استمر التمويل والسفر بين البلدان رغم اختفاء (شافعي) عن الأنظار وانقطاع الاتصال، لكن ظهر منذ عدة أيامٍ بعد أن راسلته مجددًا، عندما تم الاستعانة بي كخبيرٍ في تاريخ القاهرة من أجل الاطلاع على اكتشافٍ جديدٍ الذي نتج فَوْر تهدم منزل قديم في (بين السيارج) في منطقة باب الشعرية بالقاهرة، حيث تم إيجاد بعض المقتنيات الأثرية القديمة أسفل ذلك المنزل والتي تم اكتشاف أنَّها تعود إلى الدولة الأيوبية، وتروي بعض الحكايات وغير المؤكدة أنَّ مَن سكن في تلك البقعة قديمًا هو (بهاء الدين قراقوش)، وقد وضح الأمر بعد العثور على عدة مخطوطاتٍ قديمة من بينها جُعبةٌ جلديةٌ تحتوي على مخطوطةٍ قديمة تحتوي على جملةٍ واحدة:

(عند اختفاء الساقي من عين النقي في القدم الرابعة، تصعد إلى السابعة)

عندما سمع (شافعي) خبر المخطوطة، أرسل بطلب مقابلةٍ على الفور داخل أسوار القلعة، حيث طالب بالاطلاع على تلك المخطوطة للتأكد من صحتها كما زعم، فوجد (ناصر) في عيني (شافعي) نظرةً يشوبها الشر مع شيءٍ من السعادة، فأخذ (شافعي) المخطوطة وركض نحو البئر كالمُهر اليافع واعدًا (ناصر) بإعادة ما أخذه فَوْر الصعود.

ناصر: لكنه لم يصعد.

اكتفى (سليم) بتلك الرواية ليشكر (ناصر) على تعاونه، واعتذاره

عن تواجده في تلك الغرفة بعض الوقت لحين الانتهاء من التحقيق، ليغادر (سليم) على الفَوْر لإبلاغ رئيسه بالمستجدات، تاركًا صديقه وحده مع (ناصر).

شريف: الآن، أخبرك بما أعلم.

********* ********** *********

رحلةٌ في ظلماتِ الزمن

ظل (ناصر) منصتًا إلى صمت (شريف)، وطال الانتظار دون أي حراكٍ؛ فقرر (ناصر) المبادرة بسؤال الصامت عمَّا توصل إليه من أجل حل أحد الألغاز التي أخفاها التاريخ في أحشائه حتى وقتنا هذا، لكن دون جدوى، حيث فضَّل (شريف) الصمت لعدة دقائق حتى ينتهي من نسيج الحقيقة كما يراها.

بعد أن عمَّ الصمت تمامًا من قبل الطرفين، نهض (شريف) من مقعده ليتوجه نحو باب الغرفة، لكن لم يكن ينوي الانصراف إنما توجَّه نحو قواطع الكهرباء المجاورة لباب الغرفة، ليعم الظلام داخل الغرفة ولا يبقى من ضياءٍ سوى من المشكاة الصغيرة المعلقة بنهاية الغرفة.

فيعود (شريف) إلى مقعده مرةً أخرى أمام (ناصر) الذي سأل عن سر هذا الظلام.

شريف: قصر الجوهرة، يقع بجانب جامع محمد عَلِيّ، تم إنشاؤه عام 1814. سنعود مئات السنين إلى الوراء، قبل الزخارف العثمانية؛ إنَّها تشتت العقل.

بدأت الكلمات في المُضي لتؤيد الأقاويل التي ذكرها (ناصر) من قبل عن (قراقوش)، الذي قام بإنشاء أحد العجائب المعمارية في التاريخ عام 583 هجريًا، ألا وهو بئر يوسف الذي يتخذ شكلًا هرميًا مربع القاعدة، معكوسًا، والمكون من ثلاث طبقاتٍ محاطًا بالدَّرج الحلزوني من أجل الوصول إلى قاعه، وطبقًا للمصادر التاريخية

التي أوضحت استمرار (قراقوش) في الحفر من أجل مزيدٍ من الطبقات، لكن طبقًا لما ذكره المهندس (فرنسوا جومار) أحد أعضاء البعثة القادمة مع الحملة الفرنسية، والذي يؤكد أنَّ الحفر توقف بعد أن أصبحت مياه البئر مالحة، الأمر الذي أدَّى لاستكمال باقي الطبقات المطلوبة لإنهاء بئر يوسف، الذي يعتبر إنشائيًا معكوس برج بابل الهرمي ذا القاعدة المربعة، وذا الطبقات الست المحاط بالدَّرج الحلزوني طبقًا لوصف برج بابل في لوح إيساغيل.

ناصر: يبدو الأمر منطقيًا لشخصٍ مهووس مثلي، لكن كيف أتى (قراقوش) بقوة النمرود؟

شريف: بدأ الأمر قبل بئر يوسف بعشرين عامًا أو أكثر.

كان (شريف) يدرك مدى ذكاء (ناصر) ومعرفته التاريخية؛ لذا بدأت الكلمات في التطاير من فمه، والتي استطاع الخيال الخصب لدى كلٍّ من (شريف) و(ناصر) من تحويل الكلمات إلى تاريخٍ مرئيٍّ أمامهما، يجسد كل ما حمل عقلهما من معرفةٍ عن التاريخ، وبالأخص نهاية العهد الفاطمي حيث بدأ عام 559 هجريًا، عندما وصل الوزير الفاطمي (شاور بن مجير السعدي) إلى دمشق مستنجدًا بالأمير (نور الدين الزنكي) من أجل استعادة وزارة مصر من غريمه (ضرغام)، في مقابل ثلث دخل مصر سنويًا، وأن يكون (شاور) هو نائب ل(نور الدين الزنكي) في مصر، وقد وجدها (الزنكي) الفرصة المناسبة لتوحيد الشام ومصر، حيث رفض (نور الدين) قبل ذلك الأمر فتح مصر رغم الإلحاح الشديد من قِبَل قائد جيشه (أسد الدين شيركوه) الذي كان يحلم بفتح مصر وتوحيد كلٍّ من مصر والشام لمحاربة

الحملات الصليبية، وقد أتت الفرصة المناسبة بعد الصراعات بين وزراء مصر على الحكم، فأرسل (نور الدين) الحملة النورية الأولى على مصر عام 559 هجريًا، والتي انتهت بقتل الوزير (ضرغام) وإعادة (شارو) إلى منصبه لوزارة مصر. وبمجرد تمكنه من زمام الأمور، بدأت الخديعة والمكر والظلم؛ حيث نقض عهده مع (نور الدين زنكي) ودخل في صراعٍ مع قائد جيشه (شيركوه)، حيث استنجد (شاور) المخادع بالملك الصليبي (عموري الأول) لمحاربة (شريكوه) وطرده من مصر. وعلى الرغم من رحيل (شيركوه) من مصر إلا أنَّه عاد إليها مجددًا في حملة النورية الثانية عام 562 هجريًا، والتي استمرت عامين كاملين في صراعاتٍ مع الصليبين، والتي أوشكت على نهايتها عندما قام (عموري الأول) بتضييق الحصار على مدينة الإسكندرية وقواتها بقيادة (صلاح الدين الأيوبي)، الأمر الذي اضطر إلى البدء في المفاوضات بين (نور الدين زنكي) والصليبيين، والتي انتهت بخروج (شيركوه) وابن أخيه (صلاح الدين الأيوبي) من مصر.

انطفأ نور التاريخ بعد مقاطعة (ناصر) للجولة التاريخية التي عاشها لعدة دقائق، حيث أنَّه على علمٍ وخبرةٍ بحِقْبة الدولة الفاطمية ونهايتها ببداية الدولة الأيوبية المذكورة في المئات من الكتب العربية والأجنبية، والتي لم تكشف الغموض الذي يغلف تاريخ (قراقوش) الغامض إلا في بعض السطور التي ذكرت شراء (شيركوه) للفتى الصغير (قراقوش) من سوق العبيد، وأحسن تربيته حتى أصبح أمهر الجنود وأوفى الخدم الذي رافقه حتى مماته.

شريف: الآن، أريك ما رأيت في ظلمات التاريخ.

رحَّب عقل (شريف) بضيفٍ جديدٍ للتجول داخل التاريخ، مستخدمين الخيال الخصب والمعرفة الفياضة لتبتدئ رحلتهما عام 564 هجريًا، حيث تكونت الحروف والكلمات لتنشئ أروقةً حجريةً شاهقة الارتفاع، تُضاء بالشعلات على الجانب الأيسر للرواق، حيث يسير الفارس الجَسور وحده بخطواتٍ غاضبةٍ وأعينٍ حادة وقبضةٍ كادت أن تمزق المخطوطة التي بيده، فتوجَّه إلى غرفته، ليجد الخدم ينحنون إليه بعد أن أدخلوا الضأن إلى غرفته، لكن الغضب أصمه، فصاح في وجههم وأمرهم بالانصراف، ثم دخل غرفته وأغلق الباب بقوةٍ كادت أن تشقه نصفين، وانصب غضبه في التهام الضأن كالأسد الملتهم فريسته، ولم يتوقف حتى تجرَّد العظم من لحمه، لكن الغضب ما زال جائعًا منتظرًا لفريسةٍ أخرى خاصةً بعد أن قرأ المخطوطة مرةً ثانيةً، فألقى بها على الأرض أملًا أن تهدأ النفس وتعود إلى صوابها من جديدٍ؛ فخرج إلى شرفته بالجهة الغربية للقلعة والمطلة على بانياس وما ورائها من ربوع فلسطين، والحولة، وأرض الخيط، وسلسلة جبال عامل، متأملًا سحر الطبيعة وحال البلاد والعباد، والغزو الصليبي على الأراضي المقدسة، لكن لم يهدأ الغضب بعد الانكسار الذي تملَّكه في الآونة الأخيرة بعد خروجه من مصر، واشتعل الغضب مجددًا بعد دخول الفريسة الثانية من باب غرفته.

دخل الشاب النحيل أبيض الوجه بملابس الفارس، منحنيًا إلى سيده الذي أحسن تربيته، طالبًا منه العفو عن اختفائه، لكنه لم يتلقَّ

من سيده إلا صفعةً غاضبةً أسقطته أرضًا، لكنها لم تزحزح الاحترام وطلب العفو من لسان الشاب الذي لم يبغِ سوى تهدئة سيده، وقد نجح الأمر أخيرًا وعاد السيد إلى متكئه، لتهدأ الصرخات للتحول إلى اللوم على خادمه (بهاء الدين) على اختفائه المستمر دون إذنٍ، فينهض الشاب (بهاء الدين) فينحني مجددًا إلى الفارس الغاضب.

بهاء الدين: كنت ولا زلت خادمك الأمين المحب إليك، وأنت السيد والأب الجَسور، لكني لا أقوى على رؤيتك حزينًا غاضبًا دون حراك، فلا أقوى على شيءٍ سوى الدعاء إلى الله عزَّ وجلَّ أن يعيدك إلى مصر منتصرًا ولا تخرج منها منكسرًا، وأن يوفق سيدي القائد (أسد الدين شيركوه) لولاية مصر وموحدها مع الشام لنصرة الإسلام.

شيركوه: أراك عذب اللسان يا (قراقوش)، كما كنت صبيًا منذ أن اخترتك من سوق النخاسة، أعلم مدى ولائك وحبك، فلم أجد منك إلا الوفاء، لكنك تخفي من الأمر شيئًا أجهله، لكني أشعر به منذ صغرك، وغيبتك المستمرة بين صخور (تكريت)، وها أنت مجددًا تختفي عن الأنظار بين ظلال القلعة، ودائمًا تمحو فعلتك بعذب الكلام.

ضحك الشاب (قراقوش) باستحياءٍ معللًا غيبته، حيث أنَّه يتأمل الإنشاء الضخم والمعمار الفريد والتعمير لقلعة النمرود، بعد أن استعادها الملك (نور الدين زنكي) من أنياب الصليبين، وزادته الحماسة في تأمل الأساس البابلي الذي بُنيت القلعة أعلاه، ولم يتبقَ سوى الرفات وبعض النقوشات الضئيلة في قبو القلعة.

لم تجد كلمات (قراقوش) سوى الضحكات الساخرة من (شيركوه) الغاضب من خادمه الذي لا ينفك عن رواية الأساطير والتاريخ الوثني منذ الصغر، ليعيب السيد على الخادم بإطلاق اسم النمرود الكافر على قلعة الصبية التي أصبحت تحت ولاية الملك (نور الدين زنكي)، فأسرع (قراقوش) في الاعتذار وطلب العفو عن غفوته، لكن سرعان ما نظر لسيده ليتأمل حزنه ويسأل عن حاله وما يشغل بال (شيركوه)، فزاد الغضب والحزن لدى الأسد.

شيركوه: إنَّها مصر؛ فقد أحببتها قبل أن أراها من حديثك المستمر عنها حتى أصبحت حُلمًا لي، وزاد الشوق بعد دخولها في الحملة النورية الأولى، لكن ما أحزني هو حال العباد وقهرهم والظلم والعناء من ولاية الخائن الماكر (شاور)، وما زاد الحزن في الحملة النورية الثانية عندما اشتد الحصار على جيش الزنكي في مدينة الإسكندرية، وما كان أمامنا سوى المفاوضات بين الملك (نور الدين) والصليبيين، وانتهت أسفًا بخروجي مهزومًا بصحبة ابن أخي (صلاح الدين).

نهض (شيركوه) برفقة غضبه فأمسك سبب الغضب، حيث شارك خادمه محتوى الرسالة التي حملها الأمير (محمود الحارمي) خال (صلاح الدين) والتي أُرسلت من قبل (الكامل بن شاور) المخالف لأمر أبيه، والمستنجد ب(نور الدين زنكي) من ظلم (شاور) وتواطئه مع ملك الصليبيين بالمقدس (عموري)، وإدخال الصليبيين بلبيس ودفع الجزية لهم، وأقسم (الكامل) على دفع الأموال إلى (نور الدين) كل عامٍ من أجل إخراج الصليبيين من أرض مصر، مما دفع (نور

الدين الزنكي) إلى إصدار الأمر إلى قائد جيشه (شيركوه) في حشد الجيوش للزحف بالحملة النورية الثالثة.

زادت الفرحة في قلب (قراقوش) من البُشرى لكن لم يظهرها، فاقترب من سيده، يبشره بالنصر القريب، وتوحيد مصر والشام تحت الراية الزنكية، لكنه حذَّر سيده من المرسل ابن الخائن (شاور) الذي استنجد سابقًا بالملك (نور الدين) من أجل القضاء على غريمه (ضرغام) في مقابل الطاعة والمال، ولما عادت وزارته غدر بوعده، ولا يخرج الابن من كنف أبيه، ونصح (قراقوش) بالقضاء على الخائن ونسله، وقد أَبَى (شيركوه)؛ فلا يغدر الأسد، ولا يحارب إلا في ساحة القتال، لكن سرعان ما هدأ الأسد ليستمع إلى وسواس الشيطان الذي نصحه باستخدام الحيلة والمكر والخداع للتخلص من الماكر الخائن (شاور) عن طريق الخديعة، واستمال (شيركوه) إلى رأي خادمه.

بدأ الزحف الزنكي بقيادة (أسد الدين شيركوه) وقد رافقه (صلاح الدين الأيوبي) والخادم المخلص (قراقوش)، ولما قارب الجيش من مصر، رحل الفرنجة إلى بلادهم، خوفًا من الأسد الجَسور، فدخل (شيركوه) أبواب القاهرة، وأظهر (شاور) الود وطلب العفو، لكن الماضي لا يشفع، وكانت فرصة (قراقوش) الذي اقترب من سيده ليخبره أنَّ البصاصين جاءوا بخبرٍ عن مؤامرة (شاور) لقتل (شيركوه)، فأشار (قراقوش) على سيده في القضاء على المؤامرة بالحيلة، فوافق (شيركوه) على قتل (شاور) دون أبيه، حيث يجد (شيركوه) في (الكامل) العدل والحكمة والولاية على مصر، الأمر الذي دفع (قراقوش) في استخدام غوايته على (صلاح الدين)

وباقي الأمراء من أجل المؤامرة، وقد بدأت عندما خرج (شيركوه) برفقة (شاور) وولده لزيارة ضريح الإمام الشافعي، فانقض عليه (صلاح الدين) وباقي الأمراء فأسروهما، وقد صدر الأمر من (شيركوه) بقتله لخيانته للمسلمين وموالاته للفرنج.

دخل الوسواس في عقل (صلاح الدين)؛ حيث نصحه (قراقوش) وجوب قتل (الكامل بن شاور) تجنبًا للثأر من أجل أبيه، فانتصرت الغواية وقتل (شاور) وولده. وعندما وصل الأمر إلى (شيركوه)، حزن وتأسف إلى الخليفة الفاطمي عما حدث دون علمه، لكن في نفس الوقت أرسل (شيركوه) إلى الخليفة الفاطمي (العاضد بالله) رأس (شاور)، فما كان أمام الخليفة سوى تعيين (شيركوه) وزيرًا على مصر.

انقطعت الكلمات وعمَّ الظلام وعاد الرفيقان من رحلة التاريخ لبُرهةٍ، ليتناقش (ناصر) مع (شريف) ما توصلا إليه من رواياتٍ، حيث لا يوجد ما يؤكد الحقائق، شأن روايات التاريخ التي قد تمجد الظالم وتقتل المظلوم.

ناصر: هل تعني أنَّ (قراقوش) قد وجد الكيان في قلعة الصبيبة؟ لكنها لم تكن بهذا القدم، وكيف أتى الكيان الشيطاني إلى تلك البقعة؟

شريف: سُميت بقلعة النمرود قبل الصبيبة، بعض المصادر تقول أنَّ الأيوبيين قاموا بإعادة بناء الحصن، وليس بناءه من الأساس. امتدت الإمبراطورية البابلية من العراق لإيران لشبه الجزيرة العربية، ربما

أخفى النمرود الكيانات في مختلف بقاع الإمبراطورية، ربما أخفى كهنة بابل القوى بعد موت النمرود، (شيركوه) كان يقيم في (تكريت) تم ذكر (تكريت) في النصوص الآشورية في كتابات الملك الآشوري (توكولتي الثاني).

النتيجة النهائية عثر (قراقوش) على الغواية في إحدى المنطقتين، استخدم قوة الغواية على (شيركوه) و(صلاح الدين)، قتل (شاور) وابنه من أجل ولاية مصر.

جحظت العينان وأخذ (ناصر) يبحث على بعض الحقائق داخل عقله، حتى توصل لشيءٍ ما يؤيد ما قيل، حيث تذكر (ناصر) بعض الكلمات التي ذُكرت عن (أسد الدين شيركوه) في كتاب سير أعلام النبلاء، التي تروي تولي (شيركوه) الولاية لشهرين فقط ثم وفاته لأسبابٍ لم يجدها مقنعةً، لكن سطور التاريخ اتفقت على موت (شيركوه) مختنقًا.

شريف: كتاب سير النبلاء، الجزء العشرون، صفحة 516 و517: (وتمكن شيركوه ثمانية وخمسين يومًا، ثم مات بالخوانيق، وقيل: بل سمه العاضد في منديل الحنك الذي للخِلعة) لم تخرج ل(أسد الدين شيركوه) جنازةً عسكرية. قائد عظيم مات دون وداعٍ يليق بشأنه.

ناصر: هل تظن أن غواية (قراقوش) وصلت إلى العاضد للتخلص من (شيركوه) خوفًا من زوال الدولة الفاطمية؟ وربما وصلت الغواية إلى (صلاح الدين) لإنهاء الدولة الفاطمية في مصر، ليتولى زمام الأمور؟

لم يجب (شريف) على السؤال، لكنه أكَّد أنَّ كلَّ ما سبق مجرد روايات، لكنه نطق وصية (شيركوه) الشهيرة: "لا تفارقوا سور القاهرة حتى تطير رؤوسكم، واحذروا من التفريط في الأسطول".

لم يدرك (ناصر) السبب وراء تلك الكلمات وعلاقتها بقتل (شيركوه)، ولم يكن يهتم (شريف) بتلك الكلمات، إنما أوضح من استئمن على الوصية وجلس بجانب (شيركوه) حتى وفاته.

ناصر: بهاء الدين قراقوش، ربما أخفى الكيان الشيطاني أو المِيمُوزا داخل البئر قبل توليه عكا، وربما استمد القوة منها حتى لا يقتله الصليبيين عندما تم أسره رغم قتلهم المئات من الأسرى، وربما استخدم الغواية لجعل (صلاح الدين) يفتديه بالمال.

شريف: ربما الأمر خدعة .. كذبة .. استنتاج لا صحة له من الأصل، لكن هناك مَن يؤمن بوجود كيان الشيطان داخل بئر يوسف؛ (سامي النمرود) كان يؤمن بوجود دليل، مَن قتله يعلم بوجود الدليل.

أخذ (ناصر) يتساءل عن صحة ما قيل، بل وازداد الأمر عندما بدأ في التشكك من كتاباته ورحلاته من أجل إعادة كتابة التاريخ، حيث بدأ يشكك في علم (ربما)، وفي ذات الوقت أعرب عن قلقه وخوفه من صحة ما توصلا إليه، فإنَّها قوة شيطانية لا يحق للإنسان استخدامها.

لم يحظَ (ناصر) بأية إجاباتٍ من شريكه بالغرفة الذي توجَّه نحو الباب لإعادة الإضاءة إليها مجددًا، لكن هذه المرة لم يعد إلى مقعده، إنما وقف أمام الباب في صمتٍ للحظاتٍ، مغلقًا عينيه، ليدخل في

جولةٍ قصيرةٍ داخل عقله لربط كل ما حدث منذ دخوله إلى قلعة الجبل حتى وفاة (شيركوه)، لكن الأحداث لم تكن في ترتيبها الصحيح، فأخذ يرتبها شيئًا فشيئًا داخل عقله، لكنه سرعان ما توقف لما وجده أمامه داخل عقله، لم يقوَ على التفكير في أي شيءٍ سوى ما رآه أمامه، فاقترب ممن وجده داخل عقله بخطواتٍ بسيطة، ولما اقترب وجد ما سلب عقله؛ وجد حبيبته القديمة (سمر) بابتسامتها الساطعة التي اختفت في لحظاتٍ وحلَّ محلها الخوف وصاحبها جملةٌ واحدة:

سمر: احذر من النجوم.

********** **********

حديقة العقل:

اقتحم (سليم) الغرفة التي تحمل كلًا من الصديق والمتهم، بوجهٍ مضطرب وكلماتٍ يشوبها الكثير من الأسى، حيث صدر الأمر بناءً على تعليمات سيادة العميد (راجح) بحضور جميع المتهمين إلى القاعة الرئيسة، بعد أن أعرب السادة مندوبي الدول استياءهم الشديد عن تلك الساعات الطويلة في التحقيقات والتي لم تثمر عن أية نتائج.

وكان أول المعترضين (كيرال ألتان) الذي زاد ضجره وتعالى غضبه، واتهم السلطات المصرية في إضاعة الوقت من أجل خلق دلائل واهية أو خدعة مشينة لإلصاق التهمة بأحد المتهمين من أجل إظهار براعة السلطات في حل الجرائم لا أكثر، حتى وإن كان المتهم بريئًا، وأكَّد (كيرال) كلماته بغروب الشمس الذي حلَّ على الجميع دون التوصل إلى اتهامٍ أو دليلٍ يدين الأربعة أو أحدهم، فدخلت الكلمات القاسية في صدور الحاضرين فزادت من غضبهم. طالب الجميع من (راجح) بإنهاء ذلك التحقيق أو كما وصفوه بالمهزلة، وإحضار أبناء أوطانهم على الفَوْر، وإدخال حرسهم الخاص إلى القاعة لبدء عملية التأمين للخروج من قلعة الجبل.

وما هي إلا دقائق، حتى تلقَّى سيادة العميد اتصالاتٍ من القيادات العليا لإنهاء التحقيق على الفَوْر؛ تجنبًا لحدوث أي أزماتٍ دولية، على أن يتم منع المتهمين الأربعة من السفر خارج الأراضي المصرية لحين التوصل إلى الدلائل القاطعة التي قد تدين أو تبرئ، لذلك لم يجد سيادة العميد (راجح) سوى تنفيذ الأمر مع الشعور بالخزي

والحسرة؛ لفشله في إنهاء التحقيق العجيب الذي بدأ بالكثير من الأدلة، والعديد من المشتبه بهم، لينتهي بالقبض على العديد من المذنبين ما عدا المذنب الذي سيهرب مستمتعًا بنصره وسط هذا الحشد.

الأمر الذي دفع (راجح) آسفًا إلى إصدار الأمر بإحضار الأربعة إلى القاعة الرئيسة، مع عرض ما توصلت إليه التحقيقات وعلاقة الضحية بالمتهمين؛ أملًا في تعاون الدول في التحقيق لمعرفة الجاني الحقيقي وإنهاء القضية بسلام.

وبالفعل، تم تنفيذ الأمر، وبدأ (سليم) بإحضار الأربعة من غرف التحقيقات، بدءًا من الطبيب والساحر، ثم الراهب، نهايةً ب(ناصر) المتواجد في الغرفة برفقة (شريف).

وقد حضر الجميع في نهاية الأمر داخل القاعة الرئيسة بحضور السادة المنتظرين؛ لبدء سماع النتائج التي تم التوصل إليها، لكن بعد لحظاتٍ معدودة أدرك (سليم) أنَّ الحاضرين ينقصهم مَن أوصلهم إلى تلك البقعة، واكتشف ما لم يتوصل إليه أحد، لم يجد في الحاضرين الصديق الصامت الذي سانده أكثر من مرة، فلم يجد أمامه سوى الاستمرار في النقاش والجدال مع الحاضرين تاركًا في الغرفة العلوية صديقه (شريف) الذي أغلق الأبواب والنوافذ حتى المصابيح، فظل جالسًا على مقعده ناظرًا في سكينةٍ إلى المقعد الخالي أمامه.

وما هي إلا لحظاتٌ، حتى ظهرت السعادة على وجهه دون سببٍ

مرئي؛ فأدرك (شريف) في تلك اللحظة وصول الضيف، فأغلق عينيه لاستقبال مَن يشتاق إليه، ليس بتلك القاعة أو ذلك القصر، أو هذا الواقع الملوث، إنما استقبل الضيف داخل حديقة عقله، مزينة بالزهور مختلفة الألوان التي يعلوها الفراشات الزرقاء، والسماء الزرقاء الصافية، والشمس الدافئة، والجدول المائي الصغير الذي يمر بجانب المقعدين، فيخلع (شريف) حذاءه؛ ليتحسس العشب الأخضر الناعم بقدميه العاريتين فيجعله جزءًا من الطبيعة، ليتجلى الضيف أمامه بأقدامه العارية، ليشارك (شريف) ذلك الإحساس الرائع، وبمجرد جلوس الضيف ينظر (شريف) إلى العينين اللتيْن افتقد رؤيتهما، والابتسامة التي أوقدت قلبه فرحًا وأعادته إلى الحياة مجددًا، لكن سرعان ما يقل وهج الابتسامة عندما يرى هذا الهدوء والسكينة القادمة منها، فلم تملك (سمر) هذا الصمت قط أو ذلك الهدوء أو حتى هذا الرداء الأبيض، على عكس ما كانت ترتديه من الألوان الزاهية غير المتناسقة، والثرثرة التي لم تتوقف للحظة، والضحكة الممتد صداها لعدة أمتارٍ.

كانت الفوضى التي يفتقدها (شريف) في حياته المنظمة، كانت المغامرة التي لم يتخيلها عقله، فأدرك (شريف) أنَّ (سمر) ذات الرداء الأبيض ما هي إلا نسيج خياله العاجز عن وصف ما بقلبه.

سمر: ما زلت عائقًا داخل عقلك يمنعك من رؤية الحقيقة الواضحة.

شريف: لا أمانع.

سمر: حياة الكثيرين تعتمد على ما تراه.

شريف: إنَّهم يريدون ما برأسي، لا يوجد مَن يريد ما في قلبي .. لا يوجد غيرك.

سمر: انظر جيدًا وسترى الكثير .. انظر جيدًا وسترى النجوم .. احذر من النجوم.

اختفت (سمر) عن الأعين؛ فهربت الشمس وعمَّ الظلام، وهطلت سيول النجوم على الأرض لتحيط ب(شريف) من جميع الجهات، الأمر الذي أصابه بالهلع، والهرب من الحديقة ذعرًا بعد سماع الرعد الذي هز أرجاء المكان، ليركض نحو باب الحديقة للخروج منها، ليهرب أخيرًا، ويعود إلى الواقع فيجد نفسه في الرواق خارج غرفة التحقيقات، ليجلس أرضًا ليلتقط أنفاسه بعض الشيء بعد ما وجده داخل عقله.

بعد عدة دقائق من الهدوء والتقاط الأنفاس، وجد (شريف) من هو ضائع في الأروقة بحثًا عن المحققين والمتهمين لكن دون فائدة، فلم يجد أمامه سوى (شريف) الجالس على الأرض والذي ينهض سريعًا فَوْر رؤية الضائع الحامل للظرف المغلق.

شريف: هذه نتيجة الطب الشرعي؟

مصطفى: بلى، لكن أين سيادة العميد؟

شريف: أريد الظرف.

مصطفى: لكن يجب أن أسلمه إلى سيادة الع...

شريف: ستسلمه إلى (راجح) لن يفهم شيئًا، سيسلم (راجح) الظرف إلى (سليم) لن يرى الإجابة الواضحة كما يريد، سليم سيعطني الظرف .. أريد الظرف.

لم يكن التعاون الأول بين (شريف) و(مصطفى) الذي كان يعلم صحة قول (شريف)، فلم يكن أمامه سوى إعطاء الظرف إلى (شريف) الذي تفحص النتيجة الطب الشرعي والبحث الجنائي، فظل (مصطفى) ناظرًا إلى (شريف) مترقبًا معرفة ما توصل إليه هذا العقل الغامض، لكنه لم يجد أي إجابة، لم يجد سوى تلك الابتسامة المألوفة له، وما هي إلا لحظاتٌ حتى أسرعت الخطوات في صمتٍ نحو الطابق الأرضي، وبالتحديد إلى القاعة الرئيسة، وظل (مصطفى) ملازمًا له دون الحصول على أية إجاباتٍ رغم أسئلته المستمرة، لكنه أدرك أنَّ (شريف) توصل أخيرًا إلى الحقيقة.

اقتحم (مصطفى) و(شريف) القاعة، ليجد (شريف) أسلحة الأمن الذي حضر داخل القاعة الكبرى قد بدأوا بتوجيه أسلحتهم نحوه، ليتحرك (سليم) على الفَوْر ويقف أمام (شريف) لحمايته، وتبدأ الأوامر الصارخة من قبل العميد (راجح) بالثبات وعدم إطلاق النار.

كانت أذن (شريف) في حالة إعياءٍ غير قادرةٍ على الإصغاء لصرخات (راجح)، أو أسئلة (سليم)، أو حتى كلمات الإعجاب القادمة من (نورا) أمام أنفاسه فكانت تصرخ طالبةً الهواء للتنفس، كل جزءٍ بجسده مصاب بالرعب بالأخص عينيه اللتيْن رأتا علامة الثلاثة نجوم محفورةً على جسد الراهب، والتي كانت مختبئةً بحرفيةٍ شديدةٍ داخل وشم التنين والنمر والزهور المحاطة بهم، الثلاثة نجوم

التي كانت منقوشةً على اليد اليمنى لقاتل أبيه.

في أقل من دقيقةٍ، بعد سقوط الظرف من يد (شريف) الذي يجد صعوبةً شديدةً في التنفس، ليستلقي على الأرض متخذًا وضع الجنين المتجمد دون أي حركةٍ. يقترب (سليم) و(مصطفى) منه لمساعدته، ليطلق (شريف) صرخاته في وجهه ووجه صديقه أو أي شخصٍ يحاول لمسه، فتختفي الملامح المبتسمة من وجه الراهب الذي يقترب من هذا الشاب المتجمد ليجلس على ركبتيه بجانب (شريف)، ليغمض المعلم عينيه للحظاتٍ واضعًا فمه بين كفيه، متمتمًا لبعض الكلمات غير المسموعة للبعض، ثم يقوم بفرك يديه بقوةٍ ليبسط كفيه أخيرًا واضعًا اليمنى على رأس (شريف) بينما تذهب اليسرى على قلبه الخائف طالبًا من الشاب المصاب بالفزع بإغماض عينيه، لينفذ (شريف) ذو الأنفاس المسموعة الأمر، ليهمس المعلم.

شوياكو: دعنا نأخذ جولةً داخل عقلك.

خيالٌ حقيقي:

يجد (شريف) بأنَّه جالسٌ بالمقعد الخلفي داخل سيارة والده، وبالأخص ليلة مقتل والده، لتنقلب السيارة رأسًا على عقب، فيصرخ (شريف) عند رؤية جثة والده المغطاة بالدماء، لتتعالى صرخاته رعبًا عند دخول اليد الغامضة المرسوم عليها الثلاثة نجوم محاولةً اختطاف (شريف).

كاو - يو: لا تخف، إنَّها مجرد ذكرى لن تصيبك بضررٍ أكثر مما

أضرتك، ماذا تحتاج للخروج منها؟

شريف: أحتاج إنسانًا لتأمله وإشغال عقلي.

كاو - يو: لقد رأيت الكثير اليوم، لقد رأيت الكثير من الناس اليوم، اخلق عالمك الخاص واملأه بما تريد.

يغمض (شريف) الجالس بالسيارة عينيه للحظاتٍ، ليفتح عينيه مرةً أخرى فيجد نفسه في قاع بئر (يوسف) وحيدًا، لكن ليس لوقتٍ طويلٍ حيث نظر (شريف) إلى الدَّرج بمجرد وصول (سامي النمرود) إلى قاع البئر، ليبدأ (النمرود) في إذاعة البث المباشر والاعتراف بخطاياه من البداية، وظل (شريف) يشاهد عن كثبٍ وبالأخص عندما رفع (النمرود) يديه إلى الأعلى حاملًا في قبضته اليمنى ذلك الخنجر الذهبي ليبدأ في تلاوة الطقوس بصوتٍ عالٍ يجوب صداه في أرجاء المكان.

اقترب (شريف) بضع خطواتٍ عندما غرز (النمرود) الخنجر في عينه اليسرى، ووجد الألم واضحًا على ملامحه مصحوبًا بصرخاته، لكنها لم تمنعه من التوقف، فاقترب (شريف) أكثر عندما سقط (النمرود) أرضًا، ناظرًا إلى الخنجر الذهبي الذي يحمل فوق نصله عين العجوز اليسرى.

وقف (شريف) منتظرًا اللحظة الحاسمة ليشاهد الأعور بعد أن استفاق من صدمته واقفًا على قدميه؛ باحثًا عن الكيان داخل الحوائط الحجرية المحيطة به، فأخذ (شريف) يقترب أكثر متجولًا حول (النمرود) الذي يبدو عليه الإعياء ويبدأ تحول جلد (إبليس)

إلى الأحمر، ومن ثَمَّ ينتفخ الجلد، ليظهر آثار الاختناق على وجهه ثم وضع يده اليمنى أسفل رأسه من الخلف، ليجد بالدماء تخرج من رقبته، ليسقط على الأرض. وفي تلك اللحظة، ينظر (شريف) إلى الدَّرج ليستقبل الثلاثة متهمين، الذين اقتربوا سريعًا من جسد النمرود؛ حيث أخذ (ناصر) في تحسس نبض (النمرود)، بينما أخذ الراهب في الضغط على الصدر لإنعاشه، لكن تملَّك الذعر قلب الساحر الذي أنهى البث المباشر، وأخذ يتجول في أنحاء البئر لإخفاء الهاتف خاصته، حتى وجد إحدى الفجوات العميقة ليلقي هاتفه بها.

يصل (سليم) أخيرًا شاهرًا سلاحه، آمرًا الحاضرين بالابتعاد عن الضحية والتوجه نحو الحائط الخلفي، ليقف (شريف) بجانب (سليم) لمشاهدة الثلاثة بدءًا ب(كيفنش) ذي ملامح المرتعدة، ثم (ناصر) وقد ظهر الحزن على وجهه، نهاية ب(شوياكو) الذي كان ينظر مباشرةً إلى (شريف) مشيرًا بإصبعه نحو (النمرود) لمشاهدة ما حدث حتى النهاية، وفي تلك اللحظة يصل (عبد المنان) أخيرًا إلى القاع ليطلب من (سليم) المحاولة في إنقاذ (النمرود)، فيقترب (شريف) أكثر ويجلس على ركبتيه بجانب جسد (النمرود) ليشاهد عملية إنعاشه منذ اللحظة الأولى، وتفقد الطبيب للنبض، والبدء في التنفس الصناعي والضغط على الصدر لإنعاش القلب، وصولًا بالمحاولات المتكررة ل(عبد المنان) في إنقاذ سيده والتي باءت بالفشل في النهاية.

ينظر (شريف) إلى الحزن الذي خيَّم على وجوه الحاضرين بدايةً من (سليم)، إلى (ناصر)، ثم (عبد المنان) الجالس على الأرض

بجانب الضحية والدموع تملأ عينيه، حتى لاحظ علامات الحسرة التي تعلو وجه (سليم)، والتوتر غير المتوقف على وجه (كيفانش)، نهايةً بالفرحة التي تقفز داخل أعين (شوياكو).

أخيرًا، تظهر الابتسامة على وجه (شريف)، ليخرج عقله إلى عالم الواقع مجددًا، فيفتح عينيه ليجد نفسه ممدًا على الأرض، محاطًا ب(نورا) التي تملأ عينيها الدموع وصديقه (سليم) الذي بدأ بتنفس الصعداء فَوْر عودة (شريف) إلى الحياة، بينما يجد المعلم (شوياكو) بوجهٍ مرهق يشوبه الحزن.

شويكاو: ماذا رأيت؟

شريف: كل شيءٍ.

********** **********

الوقت الإضافي:

يتلقَّى (راجح) اتصالًا أخيرًا من اللواء (خالد)، ليؤكد عليه أنَّه قد تم إنهاء التحقيق مع السادة الحاضرين وإخلاء سبيلهم.

وفي تلك اللحظة، ينهض (شريف) من على الأرض بابتسامةٍ غير مألوفةٍ بمساعدة صديقه، بينما تظل (نورا) على الأرض للتأكد من صحة (شوياكو) الذي بدا عليه الإعياء الشديد بعد معالجة (شريف)، ليحمله إلى (الديب) ليستريح على إحدى المقاعد فتستكمل (نورا) متابعة حالة الراهب.

يقترب (شريف) من (راجح) طالبًا منه الانتظار لبضع دقائق، لكن رغم الاختلافات العديدة بين (راجح) و(شريف) إلا أنَّ سيادة العميد يتمنى أن يلبي طلب هذا الشاب الصغير، لكن العميد لم يعد يملك زمام الأمور بعد الآن، كما أنَّه لا يملك الحجة أو السبب الكافي لطلب وقتٍ إضافي داخل القاعة، لكن ينتهي الحديث بطلبٍ أخير.

راجح: إذا كنت تملك شيئًا يساعدنا، فلتخبرنا رجاءً.

لم يهتم (شريف) بالإجابة على سيادة العميد، حيث أنَّه أدرك أنَّه لا وقت للحديث غير المفيد، ليلتقط تقرير البحث الجنائي للتأكد من استنتاجه الذي ينقصه الدليل، الأمر الذي دفعه للتوجه إلى (محمد الديب) مرةً أخرى، ليهمس (شريف) بأذنه، وما إن انتهت همسات (شريف) لتظهر أثار التعجب الشديد لأول مرة على وجه (الديب).

شريف: هل تستطيع فعل ذلك؟

مهران: أخبرتك من قبل؛ أنا أستطيع فعل كل شيء.

يعم الصمت مرةً أخرى بعد أن تقدم (الديب) بضع خطواتٍ طالبًا من الحاضرين باسم البوليس الدولي التأجيل لعدة دقائق أخرى، لكن لم ينتظر (الديب) الإجابة بالإيجاب أو الرفض، ليتحرك مسرعًا خارج القاعة لإجراء بعض الاتصالات.

يسرع (سليم) نحو (شريف) محاولًا معرفة ما توصل إليه المحقق الشاب، لكن اضطر (شريف) إلى الصمت، ليخرج (شريف) من حقيبته علبة الغداء الذي تأخر موعده بسبب التحقيقات، فيجلس في إحدى المقاعد القريبة من باب القاعة على الأرض ويبدأ بتناول شطيرته.

لم يجد (سليم) الوقت الكافي لاكتشاف ما يخفيه صديقه، حيث توجَّه إلى الحشود الغاضبة المنقضة على سيادة العميد طالبةً الخروج في الحال، فما كان أمام (سليم) سوى مساندة رئيسه لاحتواء الأزمة التي هدأت لعدة دقائق لحين وصول ضابط البوليس الدولي، ليسكن الغضب للحظاتٍ لكن لا زال التوتر والقلق متسيد الصمت، الأمر الذي دفع (راجح) لتناول بعض الأقراص لإنقاذ ضغط الدم خاصته الذي كاد أن ينفجر من الانتظار، لتمر الدقائق ويزداد التوتر، حتى يدخل (الديب) أخيرًا إلى القاعة.

الديب: يبدو أنَّك على حق.

لم يستطع الدواء السيطرة على غضب (راجح) ذي الصوت الصارخ في وجه الجميع، وبالأخص (شريف).

راجح: أنا لا أملك الوقت لهذه الألغاز، مَن لديه أي معلومةٍ قد تفيد وتنهي هذا التحقيق فليخبرني إياها؟

ليصل غضبه إلى الغليان عندما وجد الصمت هو الإجابة الوحيدة له، لكن فضَّل (شريف) تناول شطيرته، ليتقدم العميد (راجح) بخطواتٍ غاضبةٍ ليأخذ الشطيرة من يد هذا الفتى العنيد، فيصاب (شريف) بشيءٍ من الخلل والتوتر لاختراق نظامه اليومي، لتسرع (نورا) لمساعدته بأخذ ما سلبه (راجح) وإعادة الشطيرة ليد (شريف) مرةً أخرى، فيعود الهدوء سريعًا إلى قلب (شريف)، ثم ينهض وهو سعيدٌ بطعامه ناظرًا إلى المتهمين الأربعة.

شريف: حضر الدليل، الآن أخبركم مَن القاتل.

********** **********

المكتبة:

شطيرة (شريف) جعلت الجميع في انتظار تناوله الكامل لطعامه، هذا الانتظار اضطر (راجح) إلى تناول بعد الأقراص المهدئة، بالإضافة إلى قرصٍ إضافي لضبط ضغط الدم الذي وصل إلى مرحلة الغليان، فتتوجه (نورا) للاطمئنان على حالة الراهب الصحية مجددًا بعد التأكد من صحة سيادة العميد الذي يتوجَّه إلى (الديب) محاولًا معرفة ما قاله (شريف)، فجعله ينطلق مسرعًا خارج القاعة، أو ما توصل إليه (الديب) بعد إتمام مكالماته، أو أي معلومةٍ يمكن الاستفادة منها.

الديب: من خلال الاتصالات، تم التحقق من الملف الخاص باقتحام المتاحف العراقية قبل الغزو الأمريكي، وقد تم ذكر العديد من الأسماء التي تم مراقبتها ومراقبة عائلاتهم لعدة سنواتٍ لمعرفة المتورطين. الجدير بالذكر أنَّ هناك العديد من أسماء الذين اختفوا تمامًا عن أعين السلطات الدولية حتى وقتنا هذا، ومن بينهم (شوياكو) الذي تم ذكر اسمه في عدة جرائم وقد تم قتل الضحايا بأسلحةٍ حادة من مسافاتٍ طويلة، يبدو أنَّنا لم نكتشف الحقيقة كاملةً.

راجح: نحن لم نكتشف شيئًا حتى الآن، وتلك المعلومات التي ظهرت على السطح متأخرةً قد جرى عليها الدهر، فلا قيمة لها ولا علاقة لها بقضيتنا الحالية.

الديب: هذا ليس كل شيء، ما تم اكتشافه الآن شيئًا مهمًا؛ حيث

وجد أثناء التحقيقات الدولية في الحرب السورية بعض المعلومات التي قد تم إخفاء أثرها منذ الغزو العراقي، وتحديدًا بعد فك الحصار بمنطقة داريا السورية بنهاية أغسطس عام 2016.

سليم: سيدي، ما زلت لا أفهم ما علاقة مقتل (النمرود) بتلك المعلومات الغامضة؟

ليفتح (شريف) فمه أخيرًا الممزوج بالطعام مؤكدًا أنَّ مرتكب الجريمة لم يتواصل مع (النمرود) بشكلٍ شخصي من قبل، بل والأعجب أنَّ (النمرود) لم يرَ قاتله من قبل!

بدأ (راجح) في إنهاء الأقراص التي يتناولها باستمرارٍ، ليزيد من تناولها بعد عودة (شريف) إلى حالة الصمت مرةً أخرى لإنهاء طعامه، فما كان أمامه سوى الاستعانة بمسبب هذا الابتلاء.

راجح: أتوسل إليك يا جالب هذه المصيبة، افعل شيئًا، أشعر أنَّ الموت أقرب من باب القاعة.

ينهي (شريف) طعامه أخيرًا مع انتهاء كلمات (راجح)، ليقف (شريف) على قدميه بمنتصف القاعة مبتسمًا إلى جميع الناظرين إليه، منتظرين ما سيقال من هذا الفتى الناظر إلى جميع في صمتٍ تامٍ بابتسامةٍ ليست لها علاقة بأجواء الجريمة، الأمر الذي زاد من إعياء (راجح) مما جعله يجلس على الأرض تجنبًا لسقوطه، فتسرع (نورا) مرةً أخرى للاطمئنان على سيادة العميد، لتظهر الحدة في صوت (سليم) طالبًا من صديقه اطلاع الجميع على حل اللغز أو اللعبة كما يراها هذا الشاب العبقري.

شريف: القاتل دخل إلى الأراضي المصرية في يونيو عام 2016، مدعيًا أنَّه قادمٌ من مدينة داريا السورية، تم فك الحصار عن داريا السورية في نهاية أغسطس عام 2016.

الديب: الشيء الذي لم يدركه الكثيرون، أنَّ صديق (النمرود) في المُتْحف العراقي المدعو (فريد الحكيم)، لم يكن ذلك اسمه الحقيقي، إنما هو لقبٌ لحكمته وذكائه واشتهر به منذ الصغر، ولم يستخدم اسمه الحقيقي سوى في بعض الأوراق الرسمية.

شريف: الاسم الرسمي ل(فريد الحكيم) هو (فريد أحمد عبد القادر).

سليم: هل تقصد بأن القاتل هو...؟

شريف: الدكتور (عبد المنان فريد أحمد عبد القادر)!

في هذه اللحظة، توجَّهت أسلحة كلٍّ من (سليم) و(مصطفى) عفويًا نحو (عبد المنان) المذعور، محاولًا التبرير بكلماتٍ مرتعدةٍ باستحالة ارتكابه لهذه الجريمة الشنعاء، للعديد من الأسباب العاطفية والمادية، ليسرع الدكتور (عبد المنان) في اللجوء إلى التفسيرات المنطقية، مستشهدًا بأقوال الرائد (سليم) الذي رأى سقوط الطبيب على درج البئر ووصول (سليم) إلى قاع البئر ووجد جثة (النمرود) قبل وصول (عبد المنان) إلى النمرود.

لم يتوقف (عبد المنان) عن الاسترسال في المبررات المنطقية والعلمية التي تطيح بهذا الاتهام بعيدًا عنه، أولها ظهور الدماء بعنق (النمرود) دون تواجد أي شخصٍ حوله داخل البئر، والذي قد تم

إثباته في البث التجريبي الذي قد شاهده الملايين. أما السبب الثاني هو وصول الثلاثة المتهمين قبله، والذين يملكون أفظع الدوافع لقتل (النمرود). أما ثالثًا أنَّ من المستحيل على شخصٍ مثل (عبد المنان) إطلاق هذه الإبرة القاتلة من الدَّرج إلى قاع البئر بتلك البراعة، خاصةً في حالة وجود أكثر من شخصٍ داخل البئر.

تلاشى التشويق من أعين الجميع متحولًا إلى نظرات لومٍ واحتقارٍ وقليلٍ من الحزن، حيث كان دفاع (عبد المنان) متماسكًا وذا منطقٍ سليمٍ وصحيحٍ، خاليًا من شوائب اتهام (شريف) الذي لا يحمل أي دلائل على إدانة الطبيب.

ينهض (راجح) من على الأرض ليأمر (سليم) بصوتٍ خافت لإخراج (شريف) من القصر على الفَوْر؛ تجنبًا لأي إحراجٍ خاصةً بعد الصمت الذي تحلى به (شريف) لفترةٍ طويلة.

فما كان أمام سيادة الرائد سوى إطاعة أوامر رئيسه، ليتجه (سليم) نحو صديقه بخطواتٍ مترددةٍ متباطئةٍ، ناظرًا في يأسٍ إلى (شريف) المتجنب لنظرات الشفقة والاحتقار، ليغمض عينيه للذهاب إلى المكتبة.

يتوغل (شريف) داخل عقله المليء بآلاف الأبواب المغلقة، ليتوجه إلى الباب الضخم المتواجد بآخر الرواق، فتُفتح الأبواب ليصبح متواجدًا داخل المكتبة الضخمة التي قام بتصميمها داخل عقله، ليقف في منتصف المكتبة لتبدأ آلافٌ من الكتب العلمية في التطاير من أمام عينيه بدءًا من (the spark in the machine)،

مرورًا ب(history of allergy) و(atlas of acupuncture) ثم (pediatric allergy)، لينتهي بكتاب (the book of acupuncture points) التي تحتوي على ملايين من المعلومات الطبية، الرموز والمعادلات الكيميائية، ليصل أخيرًا إلى حل الجريمة.

كيرال ألتان: لا أصدق ضياع كل هذا الوقت وترك جسد والدي أرضًا من أجل سماع بعض الثُّرهات من هذا المعاق.

امتنع (سليم) عن التقدم أكثر من تلك الخطوات، ليس بسبب الغضب الثائر بداخله من تلك الكلمات القاتلة للمشاعر، إنما بسبب تذكره لأول لقاءٍ بينه وبين (شريف) عندما اعتقد الجميع أنَّه معاقٌ بينما أثبت للجميع أنَّهم المعاقون، ليتوقف للحظاتٍ ناظرًا إلى صديقه مؤمنًا بخروج الحقيقة منه خلال لحظات، فتتحقق الأمنية أخيرًا ويفتح (شريف) عينيه بابتسامةٍ مألوفةٍ ل(سليم)، قد رآها من قبل بعد التوصل لحل اللغز.

شريف: لا يمكن إطلاق الإبرة داخل البئر.

ابتسم (سليم) أخيرًا لعدم انتقال عدوى العبقرية إلى عقله؛ حيث أنَّه وجد السؤال المفقود، السؤال الذي قد يجيب على كل الألغاز.

سليم: إن كان تم إطلاق الإبرة في عنق (النمرود) إذن، كيف تم إخراجها؟

تعود علامات الاستفهام مرةً أخرى للتحليق فوق الجميع، لتبدأ العقول في التأمل في هذا السؤال والبحث عن إجابته، لتزداد الحيرة لدى البعض ويشتعل الغضب في صدر (راجح)، ليصرخ في وجه

الرائد آمرًا إياه بالتوقف عن نشر الألغاز في قلب القاعة، ناظرًا إلى (شريف) بصرخاتٍ هادئةٍ.

سليم: من الأفضل أن تخرج ما بجُعبتك الآن يا (شريف).

شريف: من الأفضل شرح ما قبل البداية.

إليكم ما حدث:

بدأت الجريمة منذ الصغر، عندما كان (عبد المنان) مرافقًا والده (الحكيم) في المُتحف العراقي، وقد شهد مقتل والده على يد (النمرود) بحضور (شوياكو)، لكن ما لم يدركه (النمرود) أنَّ صديقه (الحكيم) قد أوصى ولده بالاختفاء؛ حتى يشتد ساعده وتقوى شوكته لمنع (النمرود) من مخططه الشيطاني، وقد ورث (عبد المنان) ما تبقى من أبحاث ودراسات والده التي دلته على ملاذ (النمرود) بالإسكندرية، الأمر الذي جعله يترك وطنه ويتنقل من بلدٍ إلى أخرى حتى وصل إلى النمرود بنهاية المطاف، فاقترب منه وتودد إليه حتى أصبح القاتل في مكانة الأب لابن المقتول، أظهر (عبد المنان) طاعة سيده لعدة سنواتٍ مشاهدًا (النمرود) يسعى لعدة سنواتٍ للوصول إلى ما توصَّل إليه والده منذ سنواتٍ؛ حيث لم يكن الانتقام من (النمرود) فقط، إنما أيضًا من (شوياكو) الذي ظل مشاهدًا لمقتل (الحكيم) دون حراكٍ، فما كان أنسب من جريمةٍ ضحيتها (النمرود) ومنفذها (شوياكو).

سعى (عبد المنان) إلى تركيب الجريمة الكاملة التي تبعد الشبهات عنه بشتى الطرق، فما كان أمامه سوى خلق عدة مشتبهٍ بهم يختبئ

خلفهم؛ لذلك أوصى (عبد المنان) سيده بالاستعانة بالدكتور (ناصر) من أجل استكمال البحث عن الكيان، كما رشَّح (كيفانش) من أجل نشر هذا الاكتشاف مستعينًا بشهرته التي حرص (النمرود) على زيادتها، فما كان أنسب من الثلاثة بتاريخهم وعلاقتهم ب(النمرود) لوضعهم في بؤرة الاتهام.

بدأ يوم الجريمة بالروتين اليومي ل(النمرود)، وهي جلسة التدليك الاعتيادية الخاصة به على أيدي طبيبه، لكن هذه المرة لم تكن بالاعتيادية، حيث قام (سامي) بخلط دهان التدليك بدهان الفيروبين المسكن الموضعي المحتوي على مادة الأيبوبروفين.

يتوقف الشرح بمقاطعة الدكتورة (نورا) باستحالة هذه النظرية؛ معللةً عدم ظهور أي تغيراتٍ أو آلامٍ ل(إبليس) بعد جلسة التدليك مباشرةً، إنما ظهرت هذه الأعراض بعد هذه الجلسة بأربع ساعات.

شريف: هنا يأتي دورة مادة ثنائي الميثيندين ، مادة ليس لها طعم أو لون، توضع في الماء لتأخير ظهور أعراض الحساسية إلى ساعتين أو أكثر، لينخدع الجميع موقنين بأنَّ (النمرود) تعرض لشيءٍ ما داخل البئر هو المسبب في الحساسية.

راجح: إذن، سبب وفاة (النمرود) هو تعرضه للمسكن الموضعي.

شريف: لا.

راجح: إن الجلطة قادمة لأخذي إلى عالم أفضل.

نورا: فلتهدأ يا سيدي قليلًا، هل من الممكن التوضيح يا (شريف)؟

شريف: أعراض الحساسية تشنجات في عضلات الجسد، تورم الجلد، احمرار الجسم، ضيق في التنفس، وأخيرًا إغماء.

سليم: إذن، ما هو سبب النزيف القادم من عنقه؟

شريف: ليس نزيفًا؛ إنَّها خدعة!

نورا: ليست خدعة، أنا على يقينٍ بأنَّها دماء.

شريف: من الواضح أنَّ (عبد المنان) كان الخادم الوفي ل(النمرود) الذي اعتمد عليه في كل شيءٍ، حتى العناية بملابسه.

قام (عبد المنان) بوضع كيسٍ جيلاتيني داخل قميص (النمرود) خلف العلامة التجارية الخاصة بالقميص؛ لهذا تم تطريز الجزء الأسفل من العلامة تجنبًا لوقوع الكيس الجيلاتيني، وضع (عبد المنان) بعض قطرات الدماء الخاصة ب(النمرود) التي احتفظ بها منذ فترة أثناء التحاليل الدورية.

سليم: عند تورم جلد الضحية من أثر الحساسية يقوم بالضغط على هذا الكيس الجيلاتيني لينفجر مطلقًا الدماء.

راجح: من الأفضل أن يكمل نظريته، لا داعي للدفاع عن صديقك.

شريف: يظهر (عبد المنان) بعد إغماء (النمرود) واضعًا الإبرة بين أصابعه، ليبدأ بغرسها أسفل فقرة أطلس العنقية وصولًا إلى الحبل الشوكي، خادعًا الجميع بأنَّه يتفقد الدماء، آخذًا الكيس الجيلاتيني الذي تم زرعه من قبل، ليضع جسد (النمرود) على الأرض لاكتمال الخدعة. يرى الجميع أنَّها عملية إنعاش، لكن الجميع شهد جريمة

القتل، كان الطبيب يضغط على صدر (النمرود) لغرز الإبرة أكثر فأكثر حتى تنهي حياته.

بعد التأكد من نجاح الجريمة، يبدأ بسحب الإبرة القاتلة، لينتهي بالجلوس باكيًا على الأرض ثم يلقي بسلاح الجريمة في إحدى الفجوات المتواجدة بالبئر.

******* ********** *********

لا شيء دون دليل

لم يُصب (سليم) مثل الجميع بحالة الصمت المصاحبة بالكثير من الذهول؛ حيث صادف هذا الذهول من قبل، لكنه فضَّل مشاهدة التجمد الذي أصاب الجميع من صدمة العبقرية الخاصة بصديقه الذي يستحق لقب المحقق (شريف هدهد).

فتعود الحياة للجميع فَوْر إشهار (سليم) سلاحه في وجه (عبد المنان) الذي احتل الشر ملامحه، ليبتسم بسخريةٍ إلى حامل السلاح، فيشيد بعبقرية تلك النظرية التي لا تحتوي على أي دليلٍ.

عبد المنان: إنَّها روايةٌ مشوقة، كم أتلهف لقراءتها كاملةً! لكنها خيالية بعض الشيء، فلا وجود لأية أدلة تؤكد ما زعمته، مثل الإبرة التي اختلقتها في روايتك، وإن وجدتها هل تستطيع رفع البصمات من عليها ومطابقتها ببصمات القاتل؟ لا أظن ذلك؛ لذا لا حاجة لوضع هذا المسدس في وجهي، وبالتأكيد لا حاجة لوجودي في هذا المكان.

سليم: لكن الأدلة الجديدة تجعلك أول المشتبه بهم واستكمال التحقيقات في إدارة المباحث.

لم يستطع (عبد المنان) السيطرة على ضحكاته التي انفجرت حاملةً للسخرية مما سمعه، ليعتبره مجرد ثُرهات لا أساس لها من الصحة.

عبد المنان: بالطبع يا سيدي، لك الحق في اتهامي إن وجدت الدليل. إذن، هل من مزيدٍ من تلك الأدلة الواهية لإدانتي؟

سامي: في حالة إيجاد القفاز الطبي وهذا الكيس الجيلاتيني الذي تزعم وجوده، أستطيع أن أقسم لك أنَّي لم ألاحظه أثناء إنقاذ (إبليس)، أما الآن يا سيادة الرائد....

شريف: النتوءات.

لينظر الجميع إلى (شريف) مرةً أخرى بسعادةٍ واهتمامٍ لتيقنهم بأهمية ما هو آتٍ، ليظهر (شريف) الدليل القاطع لإدانة الطبيب، ألا وهو حقيبة الأدلة التي تحتوي على قطعٍ بلاستيكية صغيرة الحجم والتي لم يدرك أحدٌ ماهيتها، حتى وجدها (شريف) الذي بدأ بالشرح مجددًا، إحدى القطع البلاستيكة هي الرأس العلوي للإبرة، وقد تحطمت إلى أشلاءٍ من قوة الضغط عليها؛ الأمر الذي دفع القاتل إلى الاستمرار في الضغط لاختراق الجلد، مما تسبب في نتؤاتٍ بأصابع الجاني الذي يعاني من حساسية فَوْر اختراق المعادن لجلده التي تسبب تعرق الجسد وتورم الكفين.

شريف: غطاء الإبرة البلاستيكية كافٍ لرفع البصمات ومطابقتها ببصماتك.

بانتهاء تحليل (شريف) الأخير للقضية، يندفع كلٌّ من (سليم) و(مصطفى) لينقضا على القاتل لإلقاء القبض عليه أخيرًا، ليصاب الجميع بحالةٍ من الصمت من الدموع المنهمرة من عيني (عبد المنان) المصاحبة بضحكات النصر والقضاء على (النمرود).

لم يكن التحقيق مرهقًا على الإطلاق؛ حيث انفجر (عبد المنان) بالاعتراف بما ارتكبته يداه دون نبرة ندمٍ، إنما اعترف القاتل

والسعادة تملأ وجهه وقلبه لإنقاذ العالم من أحد شياطين الأرض.

راجح: يا لها من خطةٍ شيطانية! أظن أنَّك استحققت لقب إبليس عن جدارة.

عبد المنان: هل تظن بانتهاء (النمرود) سينتهي (إبليس)؟ إنَّه كان مجرد أداة شيطانية يمكن استبدالها، لقد أسديت لكم جميعًا صنيعًا بقتل (النمرود) وأنقذت البشرية بأكلمها لبعض الوقت، لكن لا تظنوا أنَّ الأمر قد انتهى، إنما قد بدأ بالاشتعال ولن تنطفئ نار الشيطان قبل أن تلتهم الكثير منكم.

ينظر (عبد المنان) إلى (شريف) مبتسمًا مقدرًا مدى ذكائه وعبقريته في حل جميع لألغاز، فيطلب من (شريف) الاقتراب قليلًا؛ فيتحرك بعض الخطوات إلى القاتل الذي بدأ يهمس ل(شريف) راجيًا من (شريف) عدم حل جميع الألغاز التي تقف أمامه؛ حيث قد دفن بعض الأسرار دون نبشها.

يخرج (عبد المنان) من القاعة مكبل الأيدي برفقة (مصطفى) وبعضٍ من الحرس، في الوقت الذي يتلقَّى (راجح) التهاني الزائفة من السادة الحاضرين لحل الجريمة ببراعةٍ شديدة، لكن سرعان ما ينسحب العميد لتهنئة (شريف) وشكره لإنقاذه من الأزمة التي كادت أن تصيب البلاد، ليعطي (شريف) الحقيبة التي تحتوي على بصمات (عبد المنان)، الأمر الذي أظهر الشك بعض الشيء على وجه (راجح) والنظر إلى (شريف) في حيرةٍ.

راجح: لقد قللت من شأنك كثيرًا يا (شريف)، لكني أدين لك

بالكثير هذه المرة.

شريف: أعلم.

راجح: هل أدركت منذ البداية أنَّ هذه القطع البلاستيكية هي رأس السلاح القاتل؟

شريف: بالتأكيد، أخذت أبحث على صفحات الإنترنت في بعض المواقع الصينية الأكاديمية، وجدت أنَّ (عبد المنان) قد نشر بحثًا مفصلًا عن كيفية علاج الأعصاب بالإبر الصينية.

راجح: هل تعني يا (شريف)، أنَّك تعلم القاتل منذ بادئ الأمر؟

شريف: أنت كنت تريد سبب وجود (النمرود) في البئر.

راجح: هل علمت السبب؟

شريف: نعم، لكن لن أخبرك الآن.

لم تستطع ساقا (راجح) حمله أكثر من ذلك ليجلس على الأرض؛ حيث كاد أن يموت غيظًا من (شريف) الذي كاد سكوته أن ينهي حياته المهنية، لتسرع (نورا) للاطمئنان على صحة سيادة العميد الذي يصارع من أجل استنشاق بعض الهواء.

نورا: من الأفضل الذهاب إلى المشفى يا سيدي.

راجح: أفضِّل الذهاب إلى أي مكانٍ بعيدًا عن (شريف هدهد).

********** **********

ما قبل النهاية:

بدأت عملية إخلاء القصر أخيرًا، ليبدأ السادة مندوبو السفارات بالتوجه إلى سياراتهم من أجل الرحيل بعد أن تم القبض على الجاني الحقيقي، والاتفاق على استكمال التحقيقات مع المتهمين قبل إخلاء سبيلهم، لكن ليس جميعهم حيث تم القبض على (شوياكو) من قبل البوليس الدولي لاتهامه بعدة جرائم في دول أوروبية، والبدء في ترحيله خارج البلاد بمجرد الاطمئنان على حالته الصحية وخروجه من المشفى، الأمر الذي جعل (الديب) يصافح يد (سليم) على حل تلك الجريمة، مبشرًا صديقه باقتراب التحاقه بالبوليس الدولي كما تمنى منذ سنواتٍ، فدخلت السعادة على صدر (سليم) الذي كاد أن يقفز فرحًا مثل الأطفال، غير مهتمٍ بأحدٍ حتى صديقه (شريف) الذي اقترب من سيارة الإسعاف و(شويكاو) المتواجد داخلها للاطمئنان عليه، وشكره على مساعدته في تخطي بعضٍ من مخاوفه.

شريف: هل أنت بخير؟

شوياكو: ما رأيته داخل هذا العقل لن يجعلني بخيرٍ أبدًا، لكن دعني أخبرك شيئًا يا سيد (شريف)، أنت لا تستخدم عقلك، أنت تستهلكه، فعليك تحمل عواقب ذلك. هل تفهمني؟

شريف: لا.

شوياكو: ستفهم ما أعنيه قريبًا فكن مستعدًا، لكن اسمح لي بإعطائك نصيحة "عندما تواجه الشر كن واقفًا ليس راكعًا".

لم تستطع الصحة هزيمة الإعياء الشديد، ليكتفي الراهب بهذه

الكلمات، فتغلق الأبواب وتنطلق سيارة الإسعاف بعيدًا عن (شريف) الذي نظر إلى الخلف بعد سماع اسمه، ليجد (ناصر عبد الدايم) بوجهٍ سعيد، فأخذ يصافح يد (شريف) بحماسٍ شديدٍ معربًا عن مدى ذكائه وعبقريته، الأمر الذي جعل (شريف) يتراجع إلى الخلف ناظرًا إلى (ناصر) بشيءٍ من القلق والتوتر الذي لاحظه (سليم)، ليقترب الصديق من (شريف) محاولًا معرفة ما يجول بخاطره لكن دون إجابةٍ كعادته؛ مما دفع (سليم) لإلهاء شارد الذهن بالشكر والعرفان إلى (شريف) لمساندته في حل القضية، وازدادت الأجواء فرحًا عندما انضمت (نورا) إليهما بنظراتها التي يملأها الإعجاب وتصاحبها الضحكات البلهاء.

نورا: ما سبب هذا الوجه العابس؟ فقد حللت القضية ببراعةٍ منقطعة النظير.

شريف: هناك شيءٌ مفقود.

سليم: فلنكتفِ بهذا القدر من المغامرات اليوم، ولنستمتع قليلًا، فيجب أن تعطي عقلك قسطًا من الراحة، أو تعطني بعضًا منه، فإن عشت مئات السنين لن يخطر في بالي قط أنَّ شخصًا مثل (النمرود) بكل قوته وتاريخه أن تكون نهايته بسبب مناعته.

يظهر بريقٌ لا مثيل له في أعين (شريف) بابتسامةٍ تملأ وجهه، ناشرةً السعادة في كل مكانٍ، لينظر الشاب السعيد إلى (سليم) الذي بدأ يشعر بالارتباك والقلق بسبب هذه الابتسامة غير المعلوم سببها.

شريف: أريد أن أرى (محسن النجار) حالًا، حان وقت القيادة

المتهورة، سأغلق عيني الآن.

********** **********

حل اللغز القديم:

حاول (سليم) أثناء قيادته الجنونية معرفة سبب سعادة صديقه لكن دون أي إجابةٍ، فيكف (سليم) عن السؤال لينصب تركيزه بالكامل في قيادته للسيارة المنطلقة نحو المستشفى، لكنه على يقينٍ أنَّ الأمر له علاقة بالأب الروحي ل(شريف)، واكتشاف حلٍ للغزٍ جديدٍ بالنسبة ل(سليم) لكنه قديمٌ بالنسبة ل(شريف) الذي يخرج من السيارة فَوْر وصولها أمام باب المستشفى، ليسرع الشاب المبتسم إلى الداخل غير منتظرٍ لاصدقائه، ليتوجه مسرعًا نحو مكتب الدكتور (وجيه) المكلف بالإشراف على حالة (محسن) الغامضة، فكادت الأزمة القلبية أن تصيب الدكتور (وجيه) بسبب اقتحام مكتبه فجأة.

شريف: فون هيبل ليندا‌و.

حاول (وجيه) حل الطلاسم التي أطلقها (شريف) في وجهه، لكن دون نتيجة؛ فيوضح (شريف) التشخيص الذي توصل إليه الخاص بحالة (محسن)، التشخيص الذي لم يتوصل إليه كبار الأطباء.

شريف: داء فون هيبل ليندا‌و (VHL)، معروف طبيًا باسم hemangioblastomas، يؤثر هذا الداء على واحدٍ من أصل 35 ألف شخص، حالة وراثية نادرة، تتميز بنمو الأورام في أجزاءٍ مختلفة من الجسم، تنمو الكثير من الأورام داخل الجهاز العصبي المركزي وغالبًا ما تكون أورامًا حميدة، مصنوعةً من الأوعية الدموية.

تبدأ الأورام بالنمو في أماكن مختلفة مثل: شبكية العين، الدماغ،

والحبل الشوكي، ومن الممكن نمو الأورام في البنكرياس، والغدد الكظرية، والكلى.

في حالة ترك هذا الداء دون علاجٍ يتسبب في حدوث سكتاتٍ دماغية، نوباتٍ قلبية، وأمراض القلب والأوعية الدموية، يمكن علاجه.

النهاية:

يصل كلٌّ من (سليم) و(نورا) أخيرًا إلى مكتب الدكتور (وجيه) الذي ينطلق خارج مكتبه؛ للتأكد من هذا التشخيص النادر الذي عرضه (شريف) الذي يبدو محقًا كالعادة.

ينظر (شريف) إلى صديقيه بسعادته الغامرة، ليعيد شرح التشخيص مرةً أخرى لكليهما، لكن كان الأمر صعب الفهم على (سليم) أما (نورا) فقد انطلقت مسرعةً خلف الدكتور (وجيه)؛ للتأكد من ذلك الأمر والاطمئنان على حالة (محسن).

كان وجه (شريف) الباسم كفيلًا بإسعاد قلب (سليم) الحزين، ليشاركه سعادته.

سليم: أحسنت يا صديقي، لقد نجحت في حل اللغز وإنقاذ حياة (محسن النجار)، أنت أكثر ذكاءً مني.

شريف: أنت مَن أنقذت حياة (محسن)، أنت من ستساعدني في حل اللغز.

أخرج (شريف) من حقيبته بعض الصور التي قد التقطها صباح اليوم من داخل البئر ليعطها إلى (سليم) للاطلاع عليها، لكنه لم يجد شيئًا مريبًا بالصور، فما هي إلا صورٌ للحوائط الحجرية التي شوهتها عوامل الزمن، فاقترب (شريف) من صديقه ليتشاركا الصورة الأخيرة التي تظهر حجرًا واحدًا داخل البئر، فلم يكن يتميز عن البقية سوى بالكثير من الخدوش والعلامات التي طمسها الزمن، لكن بالفحص الدقيق وجد (شريف) أنَّ الخدوش تخفي خلفها بعض

النقوشات الصغيرة التي تحتوي على رسمٍ للنسر الأسود الذي يعني باللغة التركية (قرا قوش)، وقد لاحظ (سليم) قليلًا من ملامح لرأس النسر بعد أن أوضح له الأمر.

سليم: هل تعني أن كلًا من النمرود و(عبد المنان) يسعيان إلى هذا الحجر؟

شريف: (أزو)، (أشيبو)، (باروم)، (كاشفو).

سليم: هذا ما كنت أريد أن أسألك عنه في نهاية اليوم. ماذا تعني تلك الأسماء التي ذكرتها عدة مرات؟

شريف: الأطباء في التاريخ البابلي (أزو) هو العارف بالماء أو الزيت مثل (عبد المنان)، (أشيبو) هو الراهب الذي يقوم بطرد الأرواح مثل (شوياكو)، (باروم) هو العراف الذي يملك المعرفة مثل (عبد الناصر)، (كاشفو) مستخدم السحر مثل (كيفانش).

سليم: مثيرٌ للاهتمام، لكن ما هي إلا صدفة، ربما خلقتها بسبب معرفتك ومعلوماتك، لكنها بعيدة كل البعد عن الواقع، بل من المستحيلات، إنَّها جريمة انتقام لا أكثر.

شريف: اختفت الرجفة.

وجد (شريف) بعد مصافحته الأخيرة ل(ناصر) أنَّ رجفة يديه قد اختفت تمامًا كأنَّها لم تكن؛ مما أيقن أنَّ الجريمة ليست مجرد قتل فاسدٍ مثل (النمرود) من أجل الانتقام، إنما قد انتهت مهمته بمجرد الوصول إلى البئر، الأمر الذي جعل (شريف) يتعمق أكثر في تفاصيل

التاريخ وافتراض أحداب ربما تكون صحيحة أو هناك من يؤمن بوجودها.

سليم: ربما يوجد مَن يؤمن بالخرافات واتبع خطوات (النمرود) واعتقداته حتى يرى ما توصل إليه، لكن في نهاية الأمر انتهت الخدعة، فلا وجود لأي شيءٍ داخل البئر.

شريف: يجب أن نعود إلى البئر.

********** **********

النهاية

يصل (شريف) وصديقه إلى قاع البئر الذي يبدو أشد رعبًا في ظلمات الليل رغم المصابيح المتواجدة بداخله، فيقف (سليم) بالقرب من الدَّرج حاملًا مجرافًا حديديًا لسببٍ لا يعلمه إلا صديقه الذي ظل ينظر إلى الساقية المتواجدة في نهاية البئر في صمتٍ استمر لعدة دقائق، حتى فاض الكيل وأخذ يسأل (شريف) عن سبب التواجد داخل البئر في تلك الساعة المتأخرة، وسبب حمله لهذا المجراف الحديدي، لكن الصمت كان إجابته لبعض الوقت، ليصيب اليأس (سليم) ويجلس على الأرض لحين انتهاء التأمل الذي طال وقته، لينظر (شريف) أخيرًا إلى صديقه بابتسامته المعهودة مستخدمًا الجملة التي وجدها للمرة الأولى داخل هذا البئر.

(عند اختفاء الساقي من عين النقي في القدم الرابعة، تصعد إلى السابعة).

بعد أن جعل (شريف) الساقية خلفه مباشرةً، تقدم أربع خطواتٍ إلى الأمام ثم توقف، فنظر إلى الحائط الحجري المتواجد على يمينه وتحديدًا إلى الحجر السابع إلى أعلى؛ فتيقن مما بداخل عقله، حيث وجد الحجر الذي يحمل نقوش النسر الأسود.

وفي تلك اللحظة، استعان (شريف) بصديقه لإزاحة هذا الحجر بواسطة المجراف، لينفذ (سليم) طلب صديقه من أجل إنهاء هذا اليوم الصاخب لا أكثر، فغرز (سليم) المجراف في حافة الحجر ودفع بقوةٍ حتى غُرِز المجراف داخل الحجر، فتنجح قوة (سليم) في

إسقاط الحجر.

وفي تلك اللحظة، يدفع (شريف) صديقه بحماسةٍ شديدةٍ لينظر ما كان يخفيه الحجر لمئات السنين، ليضع (شريف) يده داخل الحائط للحظاتٍ ثم يخرجها حاملةً صندوقًا صدفيًا يحمل بعض النقوش البابلية القديمة، فيفتح (شريف) الصندوق ليخرج منه نورٌ عظيمٌ كاد أن يضيء البئر بأكمله.

شاهد ضياء ما بداخل الصندوق إلى مَن كان يراقب (شريف) خفاءً من المستوى الأول من البرج؛ فيخرج سريعًا من البئر فإذا ب(ناصر) قد أسرع في الاختباء بعيدًا عن الأعين مراقبًا باب البئر؛ فيخرج هاتفه لبدء الاتصال من أجل إخبار سيده بالمستجدات.

ناصر: مرحبًا يا سيدي، لقد نجح النقي في الوصول إلى المِيمُوزا. هل نأخذها الآن؟

السيد: لقد انتظرنا آلاف السنين من أجل تلك اللحظة، لا بأس في الانتظار بعض الوقت حتى يجد النقي الكيانات التسعة، لنكتفِ بالمراقبة لبعض الوقت.

ينهي السيد الاتصال ويضع الهاتف على مكتبه بيده اليمنى التي تحمل وشم الثلاثة نجوم.

تمَّت